

أبوبكر القادري

عضو أكاديمية المملكة المغربية

# الأستاذ محمد الفاسي

## كما عرفته في المجالين الثقافي والوطني

الجزء السادس عشر 16

رجال عرفتهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

## مقدمة

ترجع معرفتي بمحمد الفاسي، إلى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف، عندما حل بمدينة «سلا» ضيفا على الأخ مرحوم سعيد حجي.

لقد كنت أسمع بمحمد الفاسي وهو طالب بباريس، رفقة ثلة من الإخوان المرحومين : الحاج أحمد بلافريج، والدكتور عبد المالك فرج، ومحمد بن الحسن الوزاني، وعبد القادر بن جلون، وكان يتردد في سمعي، أن الفاسي من الشبان الباحثين النشيطين، الذين برز نشاطهم في دائرة جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، وفي المشاركة في بعض النشاطات الثقافية والسياسية، وفي ربط الاتصال مع بعض الشبان العرب، الذين يدرسون بباريس، وفي تقوية العلاقات مع بعض الأساتذة الباحثين الفرنسيين المتعاطفين مع الأفكار والأبحاث الثقافية، أمثال درمنكهام، وسال فرنك، ولاوست وغيرهم.

ثم زدت معرفة به، عندما كان يلقي بعض المحاضرات في النادي الأدبي الإسلامي بسلا، وقراءتي للأبحاث التي كان ينشرها في مجلة (المغرب)، التي كان يصدرها السيد محمد الصالح ميسة الجزائري، ثم بعد ذلك عندما كان ينشر مقالات وأبحاثاً في ملحق جريدة المغرب اليومية، التي كان يصدرها الصديق المرحوم سعيد حجي. وفي هذه الأثناء، كنت ألاحظ فيه الشاب المثقف، المطلع على تاريخ المغرب ورجاله وأدبائه، الفخورين بما للمغرب من أمجاد في مختلف المجالات.

ولدى صدور كتاب أزهار البساتين، الذي ترجمه هو والمرحوم الحاج أحمد بلافريج، زدت تعرفاً عليه، من حيث اعتزازه بالمغرب وتاريخه ورجاله.

وصارت تتوطد العلاقة بيننا، عندما كنا نتلاقى في بعض الاجتماعات السياسية الخاصة، التي كانت تنظمها كتلة العمل الوطني، ثم الحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال، وبالأخص في الاجتماعات السرية الضيقة، التي كانت تعقدتها الطائفة، وهي الجناح السري في الكتلة الوطنية أولاً، ثم في الحزب الوطني، ثم في حزب الاستقلال.

ومن عادتي أثناء تعرفي ومخالطتي وتعاوني مع كل وطني، أن أدرس باهتمام، وأتعمق جهد الإمكان، في

محمد الفاسي ويده في يد أخيه أبي بكر القادري

دراسة شخصيته، حتى أكون على بصيرة من معرفة جميع الجوانب التي من شأنها أن تضمن لي ارتباطي به، ارتباطاً يبنى على المعرفة، والثقة، والأخوة، والتعاون المستمر، وفي كل الظروف، ولو صارت أحياناً ظروف اختلافات في الرأي، في بعض القضايا العارضة، وهكذا كانت علاقتي مع كل الإخوان الوطنيين، الذين سعدت بالعمل معهم في المجال الوطني، وتعاونت وإياهم في خدمة بلادي، سواء منهم الذين استمر العمل معهم طوال الحياة، أو الذين اقتصر العمل معهم في فترة من فترات الحياة لا غير، معتقداً كل الاعتقاد أن التعاون الوطني، له أخلاق، لا بد من الحفاظ عليها، ومن الواجب أن لا تدنس تلك الأخلاق، بسبب عوارض تعرض أثناء ممارسة العمل، أو بسبب احتكاكات قد تكون بشرية، لا يقبل مطلقاً أن تحو ما سبقها من ممارسات وتعاون على الخير، وعلى الصالح العام، ومن هنا فإن علاقتي مع الأستاذ الفاسي، بقيت مستمرة ودائمة إلى أن لقي ربه رحمة الله عليه.

وبعد، فمن يكون محمد الفاسي هذا الذي عرفته وتعاونت معه نحواً من ستين سنة.

### سلالة ابن الجد

إنه من سلالة بني الجد، الفهريين الأندلسيين، الذين من أعيانها وأكابرها حسبما ذكره الفاسي نفسه، العلامة

الإمام أبو بكر بن الجدد، سفير علماء الأندلس إلى يوسف بن تاشفين، في القرن الخامس الهجري، من أجل الاستغاثة به، وطلب مساعدته، للحفاظ على الوجود الإسلامي، وإنقاذ المسلمين الأندلسيين، من ضغوط الصليبيين، الذين كروا عليهم، مستعينين ببعض ملوك الطوائف، الذين أغرتهم الدنيا، واللهو، واللعب.

أما سبب تسميتهم بالفاسيين، فيرجع كما نلاحظ في كثير من أسماء العائلات المغربية - مثل التازيين بفاس، والتطواني في سلا، والسلوي بفاس أيضا، والزموري بالرباط، يرجع إلى أن أحد أجداد الفاسيين، سكن بمدينة القصر الكبير، فسماه القصريون بالفاسي، فصار اسم الفاسي، يطلق على جميع أفراد الأسرة، ومن جملة هؤلاء الذين سكنوا القصر، وأطلق عليهم اسم الفاسي، نذكر العلامة المجاهد الصوفي أبو المحاسن يوسف الفاسي، الشاذلي الطريقة، والذي كان له دور هام وكبير، في معركة وادي المخازن.

### ولادته

ازداد محمد الفاسي بمدينة فاس سنة 1326 هجرية، الموافق لثاني شتنبر سنة 1908، وتوفي والده سيدي عبد الواحد، ولم يتجاوز سنة الرابعة، فكفله عمه سيدي المهدي الفاسي، الذي كان تولى مهنة القضاء، والذي هو

والد زوجة الفاسي، السيدة الوطنية، للامليكة الفاسية، التي كانت هي الموقعة الوحيدة من النساء، على وثيقة المطالبة بالاستقلال، في حادي عشر يناير 1944.

### دراسته

انخرط مثل بقية أقرانه، في سلك الكتاب القرآني، ثم انتقل إلى القرويين، ومنها انتقل إلى مدرسة أبناء الأعيان، ثم إلى ثانوية مولاي إدريس، ومنها إلى السوربون، فنال دبلوم دراسات اللغات الشرقية، التي حصل بها على شهادة الليسانص، لدى تقديمه لرسالته في موضوع : «الوزير : ابن عثمان، ورحلته : إحرارز المعلى والرقيب» ثم صار يحضر لنيل الدكتوراة في الأدب، حول الرحلة في الأدب العربي، ويقول حسبما ما أملاه لبعض طلبته : «إنه طاف للحصول على المعلومات حول الرحلات، مدة سنتين، على جل خزائن أوروبا، واطلع فيها على كل الرحلات المخطوطة الموجودة بها، سواء بالخزانة الوطنية بباريس، أو خزانات جامعات برلين، وخزانة ليدن، بهولاندا، والمتحف البريطاني بلندن، والخزانة البولندية باكسفورد، وخزانة الاسكوريال باسبانيا، زيادة على خزانات المغرب وتونس والجزائر.

لقد كتب عدة مقالات في بعض المجالات، عن الرحالة المغاربة وآثارهم، وعن رحلات المغاربة للحجاز

بالخصوص، وعن الرحلات السفارية، وقال ان المغاربة برزوا في هذا النوع من الرحلات، وألفوا فيها أكثر من غيرهم، واعتبروا أن رحلة ابن دحية السبتي، التي لخصها في كتابه : «المطرب في أشعار المغرب» أقدم رحلة سفارية مغربية».

كما أنه حقق رحلة محمد بن عثمان المكناسي التي عنوانها : احراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام، وزيارة القدس والخليل، والتبرك بقبر الحبيب، واهتم برحلة العبدري، فحققها ورجع إلى كثير من مخطوطاتها ومطبوعاتها، وذكر ان العبدري ينتمي إلى حاحة، فهو مغربي، وليس بأندلسي، كما ادعى ذلك بعض الباحثين، الذين قالوا إنه من بلنسية، وبعد وصف الرحلة الوصف الكافي، ورده على الانتقادات التي وجهت إليه من طرف عبد السلام الناهي. تحدث عن العبدري نفسه، وثقافته الواسعة، ومشاركته في كل العلوم العقلية والنقلية، واطلاعه الواسع على الأدب العربي، وحنكته الأدبية، إلى جانب ميله إلى الحياة الروحية، وفهمه الصحيح للدين الاسلامي، إلى غير ذلك من الفوائد التي يلاحظها كل من اطلع على هذه الرحلة، ويظهر أن العبدري أخذ بمجامع الأستاذ الفاسي، فقدره أعظم تقدير، حتى إنه اختار اسم العبدري، علماً رمزياً له، لدى انضمامه إلى الجماعة السرية، التي كانت المسير الأساسي



الأول لكتلة العمل الوطني، ثم الحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال والتي كانت تسمّى بالطائفة.

### **شخصية محمد الفاسي وعمله الوطني أثناء الحماية وبعدها**

تعتبر شخصية الأستاذ محمد الفاسي، شخصية متميزة، بكل ما تحمله كلمة التميز من معنى، فهو متميز في ثقافته واطلاعه، متميز في أخلاقه وسلوكه، متميز في علاقته مع إخوانه وأصدقائه، متميز في اعتزازه بمغربيته وعروبته، متميز حتى في لباسه وهندامه، نموذج خاص من النماذج التي لا تتكرر في الحياة إلا نادرا، والذين عرفوه أو عاشروه، يلاحظون فيه كثيرا من الخصال والتميزات، التي لا نكاد نجد لها مثيلا لدى غيره من الشخصيات التي عرفناها، سواء في المجال الوطني أو المجال الثقافي.

فمحمد الفاسي رجل وطني بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، يُحب وطنه لدرجة الغرام، ويتحدث عن حضارة بلاده، وثقافتها، وتاريخها، وأمجادها، وعبقرية علمائها، ومصلحيها، وزعمائها، وملوكها، بكل تقدير وإكبار، ويأبى إلا أن يكون عاملا فعالا في الدفاع عن قيمها، وحضارتها، وثقافتها، وتراثها الأدبي، والثقافي، العربي، والأمازيغي، وأمجادها، بكل ما يستطيع الوصول إليه من إمكانيات ووسائل.

آمن بوطنه ووطنيته وهو صغير، لم يتجاوز العقد الثاني من عمره، وشعر بمسؤوليته الوطنية، وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، فما وصل إلى باريس قصد الدراسة، واتصل ببعض زملائه في الدراسة مثل : الحاج أحمد بلافريج، ومحمد بن الحسن الوزاني، حتى كون معهم جماعة جعلت من مهماتها الأساسية في باريس، التعريف بالمغرب، والدفاع عن حريته.

وعندما استصدر الفرنسيون الظهير البربري، بتاريخ 16 ماي 1930، وقام الشباب المغربي في كل من سلا، والرباط، ثم فاس، بمناهضته، والمطالبة بالتراجع عما يهدف إليه، من تفريق الشعب المغربي، وتنصيره، وإخراجه من ربقة الشريعة الإسلامية في أحكامه، إنبرى محمد الفاسي وإخوانه معه، إلى مقاومة السياسة التفريقية، التي خطط لها الاستعمار الفرنسي، فوضعوا كتيباً صغيراً تحت عنوان : (زوبعة في المغرب) : La tempete sur le Maroc ووقعوه باسم مستعار، وهو : (مسلم بربري) فضحوا فيه السياسة الفرنسية، وما تدبره للمغرب من أخطار تفريقية جهنمية، تؤدي به إلى التنكر لشخصيته المغربية الأصيلة، سواء في مجال العقيدة، أو اللغة، أو الحكم، وترمي به إلى الاندماج في الشخصية الاستعمارية الفرنسية.

ولقد كان لهذا الكتيب، أثر عميق وكبير في أوساط أحرار الفرنسيين أنفسهم، فكتبوا في جرائدهم وفي مجلة

«مغرب» التي كانت تصدر بباريس باللغة الفرنسية بالذات، مستنكرين سياسية الإقامة العامة، التي خطط لها «ليوطي» أولاً، ثم طبقها لوسيان سان عام 1930.

وفي هذا الغليان الذي وقع بالمغرب، رجع الفاسي مع إخوانه إلى فاس، حيث شارك المشاركة العملية في الاجتماعات، والتظاهرات التي وقعت بفاس، ضداً على الظهير البربري، وانضم لآخوانه الشباب بفاس، فكان من الرواد الأولين الذين حملوا المشعل، دفاعاً عن حرية بلادهم واستقلالها، وتحريرها من ربة الاستعمار، وبقي في خطه الوطني السليم، يتابع عن قرب كل التطورات التي سارت فيها الحركة الوطنية المغربية، ويقرر فيها، عندما يناديه نداء الوطن للقيام بالواجب، ولعب دوراً أساسياً هاماً، أثناء اشتعال الحرب العالمية الثانية، حيث كان يحضر معنا اجتماعات اللجنة التنفيذية المؤقتة، التي أسسناها سنة 1939، وكانت كل القرارات التي تتخذها اللجنة التنفيذية، بمحضه ومشاركته وإعطاء رأيه.

ولدى نزول القوات الأمريكية بالمغرب، أوائل الأربعينيات، كان أستاذاً بليسي ليوطي بالدار البيضاء، قبل أن يعين أستاذاً بالمعهد المولوي بالرباط، ثم عينه بعد ذلك جلالة الملك محمد الخامس، نور الله ضريحه، مديراً لجامعة القرويين، وفي هذا الظرف بالذات، (كلفته الطائفة) بالاتصال بمحمد الخامس، وتبليغه بعض الاقتراحات

المتعلقة بنزول القوات الأمريكية، فقام بما كلف به أحسن قيام، وأصبح منذ ذلك الوقت، الرابط الأساسي بين محمد الخامس من جهة، وبين المسؤولين في الحزب الوطني من جهة أخرى، إلى أن تقوت عرى الاتصال بمحمد الخامس، حيث تمّ تنظيم ذلك الاتصال، بطريقة سرية محكمة، فتوالت الاجتماعات السرية، بين محمد الخامس، ورجال الحزب الوطني، والتي نشأ عنها وفي ظلها، قرار المطالبة بالاستقلال، وتحرير وتقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، لجلالة الملك المعظم، سيدي محمد الخامس، وللإقامة العامة الفرنسية، ولممثلي سلطات الحلفاء، وكان محمد الفاسي من جملة الموقعين 66، على تلك الوثيقة التاريخية في حادي عشر يناير 1944.

وإثر الأحداث التي وقعت بعد المطالبة بالاستقلال ابتداء من 29 يناير 1944، وإلقاء القبض على عشرات المآت من الأحرار، كان الفاسي من جملة الذين أُلقي عليهم القبض، فسجن أولاً، في قلعة البرج بفاس، ثم نقلوه هو وإخوانه إلى سجن العذير، قرب الجديدة، حيث بقي مسجوناً سنة ونصفاً.

وبعد خروجه من السجن، بقي نشاطه الوطني، موازياً لنشاطه ومهامه الثقافية، التي كانت متعددة الأشكال والألوان، كإدارته لجامعة القرويين، وتدرسه بالمعهد المولوي، وكتابه الثقافية المتعددة في الصحف

والمجلات، وبالمناسبة أود أن أسجل هنا أن الجماعة الوطنية الأساسية في الحركة الوطنية، التي تسمى بالطائفة، أو الزاوية، كان من ضمنها أفراد كشفوا عن أنفسهم، وتحملوا مسؤوليتهم السياسية علانية، فكانوا يحضرون الاجتماعات والتجمعات العلنية، ويمضون المقالات السياسية، بإمضاءاتهم الصريحة، ويوقعون إن اقتضى الحال على البيانات والبلاغات والبرقيات التي كان يصدرها الحزب الوطني، ثم حزب الاستقلال، وكان آخرون، ومنهم الفاسي، لا يبرزون علانية، ولا يوقعون على منشور، أو بيانات، أو بلاغات، ولكن قد تسند إليهم مهمات أساسية في بعض الظروف الحالكة، التي تمر بها الحركة الوطنية، عندما يلقي القبض على الزعماء والمسؤولين، حيث يتولون تسيير المقاومة السياسية في خفاء، ويحررون العرائض، والمذكرات، والمنشورات، ويتابعون سير القضية الوطنية في تلك الظروف، بما يجب أن تسيير عليه، وكان الفاسي، ومسعود الشيكري، وغيرهما، حسب الظروف، من هؤلاء العاملين السريين، واستمر العمل في هذا الطريق، وهذا الشكل، خلال الأربعينيات، وأوائل الخمسينيات، إلى أن اشتدت الأزمة بين محمد الخامس، وحزب الاستقلال، من جهة، وبين السلطات الاستعمارية الفرنسية من جهة أخرى، فكانت أحداث ديسمبر سنة 1952 التي أعقبت اغتيال الزعيم النقابي

التونسي فرحات حشاد، وكانت أحداث غشت 1953 التي أعقبت نفي محمد الخامس وإبعاده عن عرش المغرب، وسواء في الأحداث الأولى، أو الثانية، ألقى القبض على الآلاف من الوطنيين، وقدم الكثيرون إلى المحاكم العسكرية، ليحكم عليهم بالأحكام المختلفة، وصلت إلى الاعدام، وقدم آخرون إلى المحاكم الجزرية، ورمي بالكثيرين إلى المنافي البعيدة، وكان الفاسي من جملة المنفيين إلى قرية «ألنيف» بالصحراء، ثم نقل إلى اغبالون كردوس، ولم يطلق سراحه إلا في أواخر سنة 1954.

#### **اهتمامه بالقضية الفلسطينية منذ شبابه المبكر**

في سنة 1929 حاول اليهود في فلسطين، الاستيلاء على أرض فلسطينية ملتصقة بالمسجد الأقصى، وكانت هذه الأرض هي المكان الذي ربط فيه البراق، لدى عروج سيدنا محمد ﷺ إلى السماء، فكانت تسمى بعد ذلك بقعة البراق، وجاء اليهود في سنة 1929 يحاولون الاستيلاء على هذه البقعة، مدعين أنها مكان الهيكل، الذي يريدون أن يتعبدوا فيه بالبكاء، فقامت قيامة الفلسطينيين، محتجين على محاولة الاستيلاء على تلك البقعة الطاهرة، وتضامن مع الفلسطينيين العالم الإسلامي، وكان المغرب من جملة المتضامنين، فكتبت عرائض، وجمعت إعانات، وكان الفاسي، ومحمد بن الحسن الوزاني، من متزعمي حركة التضامن، وكتبوا عريضة احتجاج، قدمت إلى باشا المدينة،

صورة تمثل بعض الحاضرين في المؤتمر الثالث  
لطلبة شمال إفريقيا المسلمين المنعقد بباريز  
ويُرى محمد الفاسي في الصف الأول وسط الصورة

كي يرفعها لمن يهتمهم الأمر. كما جُمعت مساعدات نقدية للمناضلين الفلسطينيين.

### **جمعية الثقافة العربية**

وأثناء وجوده بفرنسا، أسس مع جماعة من طلاب العرب، منهم، محمد صلاح الدين، وزير الخارجية في حكومة الوفد المصرية، وفريد زين الدين الذي تولى وزارة الخارجية في سوريا، أيام الكتلة الوطنية، ثم في الجمهورية العربية المتحدة، وأسسوا جمعية عربية أطلقوا عليها : (جمعية الثقافة العربية) تولى فيها الفاسي أمانة الصندوق.

### **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريز**

كما عمل مع بعض شباب المغرب العربي، على تأسيس جمعية تضم طلبة المغرب، وتونس، والجزائر، أسموها جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وذلك في سنة 1929 ولقد كان لهذه الجمعية نشاط ثقافي ممتاز، وكانت تلقى بها محاضرات، وتنظم ندوات، وتعقد مؤتمرات، سواء بتونس أو الجزائر، أو المغرب، أو باريس نفسها، ولقد أسندت إلى الفاسي رئاستها ثلاث مرات متتابعات، كما كان عضوا في مجلس إدارتها كثيرا من المرات.

(والهدف من تأسيس هذه الجمعية، هو هدف وطني قومي، يهدف إلى لُم شتات الطلبة المنتمين إلى



الأقطار الثلاثة، في وحدة تضمن لهم وسائل الاتصال والعمل من أجل النهوض، ومواكبة خط التقدم في البلاد الأخرى، وعلى الأخص في فرنسا النموذج، لأنها الدولة التي كانت باسطة نفوذها على هذه الأقطار).

وجاء فيما كتبه أحد أعضاء الجمعية : (أن تأسس جمعية الطلبة هذه، جاء ليساير حركة التجديد والإصلاح التي نهضت بها كتلة العمل الوطني بالمغرب، والجمعية الخلدونية في تونس، وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وجمعية طلبة شمال إفريقيا في الجزائر كذلك).

وكانت المواجهة ضد الحماية في الأقطار الثلاثة، آخذة في النمو والازدهار، أذكتها في المغرب مؤامرة الظهير البربري، الذي أراد الاستعمار الفرنسي عن طريقه، الفصل بين عناصر السكان المسلمين في المغرب، فقامت المظاهرات، ووقعت الاعتقالات، وسقط الشهداء، كما هو معروف، كان اهتمامها أساساً بقضايا التعليم عموماً، وتعليم اللغة العربية وتاريخ شمال إفريقيا، ومسألة التربية، ومستقبل الطلبة خصوصاً.

واهتمت اضافة إلى ذلك بالقضايا الوطنية، والثقافية، فكانت تعرف بسير الحركة الوطنية، والدعوة لها، وتراسل الصحف الأجنبية والمجلات، في أوروبا وأمريكا وتغتنم الفرص للقيام بنشاطات ثقافية متعددة،

فأقامت مهرجاناً ثقافياً بمناسبة إحياء الذكرى الألفية، لوفاة الطبيب الرازي، كان من جملة المتحدثين فيها أحمد بلافريج، كما احتفلت بذكرى ابن بطوطة، والتعريف بدولة الموحدين، وبابن عباد وبياني النهضة المغربية الأولى، المولى الحسن الأول، وأحيت ذكرى واقعة وادي المخازن، الحاسمة في التاريخ المغربي، وموضوعات أخرى، مثل وضع المرأة عند العرب، والقرآن والعلم والفلسفة، وبابن رشد، وباهتمام بني مرين بالمعارف، إلى غير ذلك من المواضيع التي شارك فيها محمد الفاسي مشاركة فعالة، وكان من جملة أعضائها : مالك بن نبي، وعبد الخالق الطريس وأحمد بلافريج، وأحمد بن ميلاد، ومحمد بن الحسن الوزاني، وعثمان صقر.

وعقدت الجمعية ثلاثة مؤتمرات، الأول بتونس، والثاني بالجزائر، وكان المؤتمر الثالث سيعقد في المغرب، ولكن السلطات الفرنسية منعت، لأنها اشترطت أن يعقد تحت إشراف المقيم الفرنسي العام، فرفضت اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وكنت شخصياً من جملة أعضائها، رئاسته، ولقد عقدت اللجنة التحضيرية، اجتماعات مع بعض الأعضاء الذين كان من جملتهم منجى سليم التونسي، بمنزل الفقيه المسطس، جد السعيد حجي من أمّه، أُلقيت فيه كلمة باسم وطني (سلا) وكانت الأناشيد الوطنية تملأ الأسماع، ومنها نشيد (حيوا إفريقيا يا عباد،

شمالها يبغي الاتحاد)، وتعتبر هذه الجمعية، النواة الأولى  
لوحدة المغرب العربي.

وأثناء تولية الفاسي رئاستها سنة 1934، وصلني  
توكيل موقع باسمه، ومزكى من السلطات المسؤولة  
بفرنسا، بأن أكون ممثلا خاصا للجمعية بالمغرب، أقوم  
بكل ما تتطلبه مني من أنواع النشاطات المختلفة. وهذا  
نص التوكيل: أنا الممضي أسفله، محمد الفاسي الساكن  
بباريز، زنقة (مريان) رقم 8، الدائرة 14، رئيس جمعية  
طلبة شمال إفريقيا بباريس، أعين باسم الجمعية، وبتفاق  
معها، اتخذ يوم 16 فبراير 1934، السيد أبو بكر القادري  
الساكن بسلا، لتمثيل جمعيتنا، أمام السلطات، وأمام  
المواطنين، (باريس 14 مارس 1934). التوقيع: الرئيس  
محمد الفاسي. (مصادق عليه يوم 17 مارس من طرف  
كوميسارية باريس).

وآخر مؤتمر للجمعية، قررت عقده بالمغرب منعه  
السلطات الاستعمارية، فعقد المؤتمر بباريس، وشارك فيه  
كثير من الشخصيات، مغربية وفرنسية وكان من جملة  
المشاركين فيه الزعيم علال الفاسي، والزعيم عبد اللطيف  
الصبيحي، والزعيم فرحات عباس، وباسم الجمعية وجه  
الفاسي، برقية إلى جلالة الملك المنعم سيدي محمد الخامس،  
بمناسبة الاحتفال بذكرى جلوسه على العرش وذلك سنة  
1933 وكان أول احتفال يقيمه المغرب بهذه المناسبة.

في مقابلة مع الملك الحسن الثاني  
ويظهر في الصورة بعض أعضاء اللجنة التنفيذية  
محمد الفاسي، أبو بكر القادري، محمد ابريك، محمد بنشقرون، احمد بن  
اليمني، عبد الرحمن بادو، يهنؤون جلالة الحسن الثاني بالعيد

## مجلة «مغرب»

أثناء وجوده بفرنسا، صدرت مجلة «مغرب» التي قررت إصدارها الطائفة (كتلة العمل الوطني) وكان المشرف على تحريرها الأستاذ أحمد بلافريج، وكان الفاسي من جملة الذين كتبوا فيها، وكان المداومون على الكتابة فيها، محمد ابن الحسن الوزاني، وج عمر بن عبد الجليل، والنائب الفرنسي جان لونكى، وغيرهم من المغاربة، كاليزيدي، وعبد اللطيف الصيحي، والخلطي، ومن الفرنسيين، أمثال روبر جان لونكى، وبيير رونوديل وغيرهم كثير.

## نشاطه في حزب الاستقلال

كان الفاسي من أعضاء المجلس الأعلى في حزب الاستقلال في فترة الحماية، وبعد خروجنا من السجن سنة 1954، وانعقاد المؤتمر الاستثنائي للحزب شارك الفاسي في تسيير المؤتمر، تم التحق باللجنة التنفيذية، التي أصبح عضوا عاملا فيها طوال سنوات، سواء وهو مسؤول في بعض الوزارات التي أسندت إليه، كوزارتي التربية الوطنية، ووزارة الثقافة، أو عندما أسندت إليه رئاسة الجامعة المغربية، إلى غير ذلك من المسؤوليات التي أسندت إليه، ولم يتخل عن مسؤوليته في الحزب، إلا في ظروف خاصة، كان للحزب فيها موقف معارض للسياسة التي كانت تطبق، لم يستطع أن يساير ذلك الموقف، لظروف خاصة به، فبقي

صورة أعضاء اللجنة التنفيذية يقرأون نشيد الحزب  
ويظهر في الصورة : محمد الفاسي بجانب الطريس

بالرغم من ذلك حريصا على انتمائه للحزب. وان لم تبق له مسؤولية فيه، وبقيت علاقته مع كل إخوانه علاقة تقدير والمحبة وإخلاص، وإن كان الاتصال به من طرف أعضاء اللجنة التنفيذية ضعيفاً، ولم تبق العلاقة كما كانت من قبل، ولم تبق له أية مشاركة أو التزام بقرارات الحزب.

### وطنية محمد الفاسي

إن توقيف نشاط الفاسي داخل حزب الاستقلال، لا يعني مطلقاً أنه سار في الجناح المعادي للحزب، ولا يعني مطلقاً أنه تخلى عن مبادئه الوطنية، وإخلاصه للمثل العليا، التي جاهد مع إخوانه لتحقيقها طوال حياته، وإنما يعني أن الخط السياسي الذي كان يسير فيه في دائرة الحزب، قد توقف بناء على قرار كان الحزب قد اتخذته بالنسبة له ولغيره، فكان أمام اختيارين : إما أن يخضع لقرار الحزب، وإما أن يختار حريته، فاختار حريته عن طواعية، واتجه الاتجاه الذي ارتضاه لنفسه. والاتجاه الذي اتجهه الفاسي، لم يفقده مطلقاً وطنيته وصدقه فيها، وحرصه على أن تبقى علاقاته مع إخوانه في الحزب، علاقة حب وإخلاص ووفاء، ولقد بقيت شخصياً متصلاً به الاتصال الوثيق، إلى أن لقي ربه رحمه الله.

ويجب أن أسجل هنا وبهذه المناسبة، أن الوطنية الحق - ليست دائماً في الانصراف إلى المجال السياسي، والتوجه إلى المعارك السياسية، ولكن الوطنية التزام

أخلاقي يلتزمه الوطني، يدفعه إلى خدمة وطنه بالشكل والطريقة التي يرى نفسه مؤهلاً لأدائها، بشرط أن لا تتعارض مطلقاً مع المصالح العليا للوطن، ومع الخط السياسي السليم الذي يرتضيه الوطنيون الأحرار، المجردون من الشبهات والأغراض.

ومن هنا، فإن بعض الوطنيين، يتصدون للمواقف السياسية، سواء كانوا في الحكم، أو في المعارضة، باعتبار أن التوجهات تكون حسب برامج مدروسة في مختلف مجالات الحياة، فيكون موقف التأييد، أو المعارضة، خضعا لمقتضيات ما يتطلبه تحقيق البرنامج المقرر، إن تأييدا أو رفضاً. كما أن بعض الوطنيين يختارون، أو تتطلب منهم مؤهلاتهم، أن يتجهوا في خدمة وطنهم لمجال خاص، أو مجالين مثلاً، كالناحية الثقافية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية، فيؤدون رسالتهم كاملة في المجال الذي أهلتهم مؤهلاتهم له، ويؤدون بذلك الخير كله لوطنهم، فيما يفيد الوطن، وينفع المواطنين.

ولنا داخل حركتنا الوطنية، سواء قبل الاستقلال، أو بعد الاستقلال، أمثلة كثيرة، تؤيد ما أقول، فبعض إخواننا المؤسسين للحركة الوطنية، أهلتهم مؤهلاتهم أو اختياراتهم، إلى مجال الكفاح السياسي العلني، فكانت مهمتهم الأساسية، تتبع القضايا السياسية يوماً بيوم، وساعة بساعة، يقبلون ما يقبلون، ويرفضون ما يرفضون، يكتبون



المقالات، ويخطبون الخطب، ويجهرون بما يرون من رأي، ويهاجمون ما يرون فيه ضررا على بلادهم، وبعض اخواننا، انصرفوا إلى المجال الثقافي، والعلمي، والتوجيهي، يكتبون المقالات والأبحاث، أو يلقون الدروس والمحاضرات، وآخرون ينصرفون للطبقات الشعبية من عمال، وفلاحين، وصناع، صغار، وتجار متوسطين، يربونهم على الفضيلة، ويبثون فيهم الروح الوطنية، ويقومون سلوكهم، وينمون مداركهم، ويعينونهم على الارتقاء بأفكارهم، لتلتحق بالطبقة الواعية في الأمة - فيصبحون قوة فاعلة مؤثرة في النهوض بالمجتمع، ليصير مجتمعا ناهضا مدركا واجباته، حاميا لحقوقه، كل هؤلاء وأمثالهم، يعتبرون قادة صالحين، وهداة في الأمة مهتدين.

### تميز شخصية محمد الفاسي

يعتبر الأستاذ محمد الفاسي، من الشخصيات المتميزة المرموقة، تختلف في كثير من مظاهرها عن كثير من رُفقاءه وأصدقائه، وزملائه، شخصية تمتاز بكثير من المتميزات، سواء في لباسه المظهري، أو في تصرفاته وتعاملاته، ويمكن أن أقول أيضا في بساطته، وتواضعه، وصداقته، ومعاشرته، هو بسيط ومتواضع، لكن بساطته وتواضعه، مكسوان بشيء غير قليل من الهيبة والكبرياء، يتعامل معك بصفاء وطهارة نفس، ويتحدث إليك حديث العارف المثقف المطلع، دون أن تشعر منه بأي تعال، وحتى إذا كان الحديث

يتعلق بمواضيع يعتبرها من المقدسات عنده، والتي لا يجوز لك أن تناقشه فيها، كالحديث عن فاس، وما يتعلق بها، وكالأسرة الفاسية، وما أعطت، وما أنتجت من الرجال والعلماء الأفاضل، فإن أسلوبه في التباهي والفخر، يكسوه بفطرة تثير منك القبول، وتدعوك إلى التقدير، فمثل الذي يقول : (إن الكل في فاس) و(لولا فاس ما ذكر المغرب) عنده من المسلمات التي لا تقبل المناقشات، فكل الفضائل خرجت من فاس، وكل الأشراف لم يخرجوا إلا من فاس، حادثته ذات يوم حول الأسرة القادرية، فأكد لي أنها لا بد أن تكون من فاس، لأن الأجداد الأولين، لم يسكنوا إلا في فاس، ولما ناقشته في الأمر، استغرب وتعجب، أما الأسرة الفاسية فهي عنده أشرف الأسر، بعلمائها، وأدبائها، ولا يجوز إغفالها مطلقا، إذا ما تحدثت عن علماء فاس، في التاريخ القديم والحديث، لقد ألقيت خطابا في أكاديمية المملكة المغربية، يوم تعييني عضوا فيها، وجاء في خطابي الحديث عن بعض العلماء الذين أنجبتهم فاس، ولم أشر إلى بعض علماء الأسر الفاسية، فلما انتهيت من خطابي هنأني، ولاحظ أنني لم أشر في خطابي إلى علماء الأسر الفاسية، ثم عقب متداركا، ولكنك أشرت إلى عالم من المتأخرين، هو الزعيم علال الفاسي رحمه الله.

وكأنه يقول لي : إن ذكرك لعلال، غفر خطيئتك بإغفالك لبعض علماء الأسرة الفاسية، والواقع أن إغفالي

أو عدم ذكرى لبعض علماء الأسرة الفاسية الذين أعرف حق المعرفة مكانتهم في العلم، والمعرفة، والجهاد، والتصوف، لم يكن عن قصد، أو عدم اعتراف، ولكن المناسبة التي كنت أتحدث فيها، لم تفرض علي ذلك، والمقصود من كل ما ذكرت، أن الأستاذ محمد الفاسي كان معترًا كل الاعتزاز بأسرته ومدينته، ويكسو ذلك الاعتزاز بسلامة طوية، ودون كبرياء مثل ما يظهر من آخرين.

قلت إن الفاسي متميز بكثير من المميزات، منها لباسه، فالفاسي حريص كل الحرص، على أن لا يلبس إلا الجلباب المغربي القح، ويتعمم العمامة المغربية البيضاء، وسواء أكان داخل المغرب، أو في أوروبا أو غيرهما، فإنه محافظ على لباسه، قد يغير لون الجلباب في المناسبات، حتى صار معروفًا لدى بعض الأساتذة الفرنسيين بصاحب الجلباب.

إن الفاسي معترٌ بمغربيته كل الاعتزاز، معترٌ بتقاليدها، بأمثالها، بالأسماء التي تطلق على بعض أماكنها وأسواقها، فلا يجوز لك أن تغير إسم خزانة الكتب بالمنزل، وتقول: (المكتبة) مثلاً، لأن لفظة المكتبة، يجب أن تبقى معبرة عن المكان الذي تباع فيه الكتب، بل تسميها بالخزانة، ولا يصوغ لك إذا ما تحدثت عن المطربين، أن تقول: الجوق الأندلسي، بل لابد أن تعبر عنهم بالآيين، كما كان يطلق عليهم من قبل، ولا يجوز

الصورة تمثل جلسة التوقيع على معاهدة الاستقلال  
والرئيس البكاي يوقع ووراءه محمد الفاسي بجلبابه

إذا ما ذكرت الآليين أن تقول الآلة الأندلسية، بل لابد أن تقول الآلة المغربية، وتتجاوز تقول : الآلة المغربية الأندلسية.

### اهتمامه بالآلة الأندلسية

وبالمناسبة أشير هنا إلى أن الأستاذ الفاسي، كان له ولوع هام بالآلة المغربية الأندلسية، اهتم بها وبأوزانها وطبوعها، وأنصت إلى المنشدين، وهم يتغنون بها، وتابع الآليين وهم ينتقلون من طبع، إلى طبع، ومن ميزان إلى ميزان، كميزان البسيط، وميزان الدرج، وميزان البطايحي، وميزان القائم والنصف، وميزان العشاق، إلى عرق العجم، إلى رمل المائة إلى الحجاز الكبير، إلى الحجاز الشرقي، إلى اصبهان، إلى غربية الحسين، وهلمّ جرا.

ولقد كنت بجانبه في مناسبة حفلة زواج ابني خالد أصلحه الله، وكان جالسا على كرسي بجانب الجوق، يتابع أداءه بنقرات يده، ويهتز لبعض نغمات الكمان. ودعوته مرة لمدرسة النهضة، لإلقاء محاضرة، وكنت أنظم بعض المحاضرات المتنوعة فيها، وكان موضوع محاضراته حول الموسيقى المغربية الأندلسية، فاستدعيت جوقا لأداء بعض الأوزان أمامه، فكان بين الفترة والأخرى، يعلق على ما أداه الجوق من نغمات، في مختلف الطبوع.

ولقد استفدت من بعض ما كتبه بعض طلبته الذين تحدث إليهم، أن لديه مقالا نشره في مجلة (تطوان). سنة 1963 جعل عنوانه : (الموسيقى المغربية المسماة : أندلسية) ولم يسعفني الوقت وأنا أكتب هذا، أن أبحث عن هذا المقال، لأستفيد مما فيه من معلومات، وإن كنت استفدت من بحث، كتبه بعض الطلبة في الموضوع.

وقد ركز الأستاذ الفاسي اهتمامه في هذا المقال على الموسيقى المسماة (أندلسية) والتي كانت تسمى بالمغرب بالآلة. لأن الموسيقيين يستعملون بعض الآلات خلالها، كالكمان، والعود، والطّر، والرباب، بخلاف الغناء الذي لا تستعمل فيه أية آلة، والذي يطلق عليه (السماع).

ويقول الفاسي في هذا الموضوع : إن أصل هذه الموسيقى مغربي، فهي موسيقى مغربية صميمية، نشأت في العراق، ونقلها البغدادي إلى الأندلس، ثم طبعت بطابع مغربي، ثم يتحدث، عن التواشي في الآلة، وتعتبر من أجمل ما يتغنى به الآليون فيقول : إن التواشي عبارة عن مقطوعات بدون كلام. وتخضع في نغماتها لنغمات الطبوع، والطبوع كما ذكر، تؤدي قبل عدة أنغام، ومن نغماتها نغمة العشاق، وهي نغمة الحياة والانشراح، وأزيد على ما قاله الفاسي فأقول : إن هذه النغمات، تقسم عند المطربين إلى عدة أقسام، حسب التوقيت الزمني، فالعشاق يتغنى به في الصباح الباكر،

والماية يتغنى بها في العشي، ورصد الذيل إذا طال الليل، إلى آخر التسميات التي عند المختصين العارفين.

### اهتمامه بالملحون

اهتم الأستاذ الفاسي، اهتماما كبيرا بما يسمى بالشعر الملحون عندنا بالمغرب، وبالمواضيع التي تطرق إليها، وقال: إن الموضوعات التي طرقتها أشياخ الملحون، قد نجد لها مقابلا في الشعر العربي الفصيح، في جل النواحي التي اعتدناها فيها، كما نظموا في أغراض لم نجد لها أثراً في الشعر العربي الفصيح، مثل الحراز، والرحلات الخيالية، والغزل، إلى جانب ما نظموا في الخمريات، والموضوعات الدينية، والألغاز، والسياسة، والسيرة النبوية، ويقول: غير أن أهم نوع برز فيه شعراء الملحون، هو الشعر الملحمي. وبالمناسبة أود أن أسجل هنا، أنه كان لدينا بمدينة (سلا) شيخ من أصدقائنا، يسمى أحمد البهلول، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولكنه يتذوق الشعر العربي الفصيح القديم، وشعر الملحون، تذوقاً عز نظيره، لدرجة أن بعض الأدباء، كانوا يستدعونه ليساعدهم على إدراك وتفهم معاني بعض القصائد التي تستعصي على فهمهم، ولقد حضرت شخصياً في بعض الجلسات معه، كانت تعرض عليه بعض الأشعار العربية، في الغزل وغيره، وفيها أوصاف وتشبيهات في منتهى

الروعة والجمال، فلما ينصت إلى تلك القطعة الشعرية يقول : ولكن انصتوا إلى ما قاله شيخ الملحن الفلاني في الموضوع نفسه، وينطق بقطعة شعرية من الملحن، ثم يقول : إن روعة هذه القطعة الملحونية، تفوق ما سمعته منكم، ويحلل القطعة الشعرية في الملحن، ويُقابِلها بالأخرى، ليأتي بالحجة على ما يقول.

اهتم الفاسي بشعر الملحن اهتماما عز نظيره، وبدأ اهتمامه به وهو لازل طالبا بباريز، وبقي هذا الاهتمام به، إلى حين المرض الذي توفي بعده رحمه الله، لقد كان يستدعي شيوخ الملحن إلى منزله، ليستمع إليهم، ويسجل في دفاتره القصائد التي ينشدونها، ليحفظها من الضياع، ولقد استطاع بصبره ودؤوبه أن يجمع المآت، إن لم تكن الآلاف من القصائد، فيدرسها، ويترجم إن أمكنه ذلك لأصحابها، الترجمات الوافية والقليلة، حسب ما استطاع الوصول إليه، كما عمل جهده على التعريف بالأوزان الشعرية في الملحن، وأكد على أنه سمي بالملحن، لأنه يلحن ويسمع بالتلحين، وليس كما يظنه البعض من اللحن، الذي هو ضد الفصيح، ولقد علمت أنه وضع قاموسا خاصا بشعر الملحن، مع الإشارة إلى أنه قد يدخل بعض الصيغ العربية فيه، بالإضافة إلى العامية.

لقد لاحظت أنه في آخر حياته، أعطى أهمية لطبع وإخراج ملحمة الملحن إلى النور، ولقد رأيت بعض



الإخوة يساعدونه لإنجاز مشروعه القيم، وكانت أكاديمية المملكة المغربية، أول الذين ساعدوه لإخراج أجزاء من (معلمة الملحون)، التي بذل جهده الكامل في تصحيحها وإخراجها في الحلة الجيدة التي ظهرت فيها. ولقد أكد في بعض ما كتبه، أن سبب اعتناؤه واهتمامه بدراسة الشعر الملحون، يرجع إلى أنه وهو لازل طالباً بباريز، كان يتصل بأحد الأساتذة الصحفيين، اسمه (درمانكيهام) (Emile Dirmenghem) ويحكي له بعض الحكايات والخرافات الفاسية، التي كانت تحكيها له جدته، ويقراً أمامه بعض القصائد الملحونة، فكان يعجب بها، مثل ما كان يعجب بالحكايات والخرافات، وهذا ما شجعه على جمعها، وتسجيلها، والاهتمام بها.

قضى الفاسي عمراً طويلاً في البحث عن الآداب الشعبية، باعتبارها تراثاً أدبياً شعبياً له طابعه الخاص، فجمع الكثير من أشعارها، وقصائدها، وسرّاباتها، وبعض ذكرياتها، وبعض ذكريات أصحابها، وترجم الكثير منها للفرنسية، حيث نشرتها بعض المجلات الفرنسية، حسب ما قال، وسجل أسماء شعراء الملحون، وحقق تراجمهم، وكان الكتاب الأول الذي وضعه في الموضوع، أسماه: (الحكايات الفاسية) ثم الحكايات الفاسية الجديدة، ثم كتب كتاباً في حجم صغير في الشعر الملحون، أهداني نسخة منه، وأسماه (رباعيات نساء فاس) ومما كتبه أيضاً

مأسماه : (1) الأحاجي السوسية (2) الأغاني البربرية (3) الأمثال السوسية (4) الأشعار البربرية. ونشر في جريدة (المغرب) التي كان يصدرها المرحوم سعيد حجي مقالا جعل عنوانه : (عيد المولد، وشعراء الملحن) كما نشر في مجلة المناهل مقالين، (1) شعراء الملحن الدكاليون، (2) شعراء الملحن، من أهل مكناس وزرهون.

وقرأت في دراسة حول حياة محمد الفاسي لأحد الطلبة الجامعيين، أن الأمثال السوسية التي جمعها الفاسي، وضعها في أربعة كنانيش، ومجموعها : 1850 مثلا، وأن الأغاني البربرية التي يطلق عليها (أزلان أو المايت) هي مجموعة من الأغاني، كان يستعملها البربر في أفراحهم ونزهاتهم، كما أنه جمع ستا وسبعين قطعة شعرية شلحية، وترجمها إلى العربية، وكتب في مجلة (المناهل) مقالا عن موضوعات الملحن.

#### **اهتمامه بلهجة تمازيغت**

من خلال ما ذكرنا من قبل، ندرك أن الفاسي كباحث معتز كامل الاعتزاز بتراثه الوطني المغربي، سواء منه العربي، أو الأمازيغي، اهتم بالنحو البربري، فوضع كتابا صغيرا بلهجة (تمازيغت) ضمنه تعاريف، ومفردات، وتمازين، شرحها باللغة العربية، وجعلها دروسا بلغ تعدادها ثمانية وعشرين درسا، ومما كتبه في

موضوع (تمازيغت) أن البربرية شقيقة العربية، ولقد تحدث في هذا الموضوع في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ذكرا الأسباب التي جعلته يهتم باللغة البربرية، مؤكدا أنها تقترب في عدة وجوه من اللغة العربية، خصوصا في الصرف والنحو. ومن المستظرف في موضوع اهتمام الفاسي بالبربرية، ما حكاه لبعض الطلبة الذين اهتموا ببعض دراساته، وهما الطالبان : محمد الشرقاوي، وأحمد كرماط، فلقد جاء فيما كتبه في الموضوع، تحت إشراف الأستاذ علال الغازي ما يلي : تحت عنوان : (البربرية شقيقة العربية) :

ألقى الأستاذ محمد الفاسي هذا البحث في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، في دورته الخامسة والثلاثين، ولقد لقي هذا العرض صدى عميقا لدى الحاضرين، أوضح فيه الأستاذ الأسباب التي دفعته إلى تعلم اللغة البربرية، مع العلم أنه فاسي الأصل، عربي اللسان، والفضل في ذلك يرجع لحارس سجنه، الذي لقنه المبادئ الأولية لتعلم البربرية، وكذا وجوده بين قبائل آيت عطاء، ثم أوضح الأستاذ أسباب تسمية هذه اللهجة بالبربرية، فأرجع ذلك إلى أن البربر إبان فتح افريقيا، كانوا يتكلمون بكلام غير مفهوم، أي أنهم يبربرون في كلامهم، وكان هؤلاء يطلقون على أنفسهم (امزيغا) أي البيض الأحرار، وذلك هو السبب في اعتزازهم بالأنفة والحرية. ثم أتى بالفاظ

بربرية مشروحة بالعربية، موضحا أن البربرية تشبه العربية، خاصة في التركيب.

### الإفادات والإنشادات

في السنوات الأخيرة من الثلاثينات، أصدر المرحوم سعيد حجي جريدة يومية، أسماها (المغرب) وكانت تصدر في الأول ثلاث مرات في الأسبوع، ثم أصبحت يومية بعد ذلك، وبعد مدة على إصدارها صار يخرج ملحقات لها، أسماها : (ملحق المغرب) ثم (ملحق المغرب للثقافة) ولقد استطاع السعيد حجي أن يستقطب عددا من المثقفين حول هذا الملحق الثقافي، يحررون وينشرون فيه بعض المواضيع الثقافية، وكان من جملة هؤلاء وفي طليعتهم الأستاذ محمد الفاسي، الذي كان يكتب في مواضيع مختلفة، تتعلق بالأدب المغربي، والأدباء والشعراء المغاربة، كما صار ينشر صفحة خاصة، جعل عنوانها : (الإفادات والإنشادات) كنا نتابعها باهتمام، نظرا لظرافتها، ثم صار ينشرها في مجلة الثقافة) ومجلة (رسالة المغرب) في الأربعينيات.

والإفادات والإنشادات، تعد من أئمن الوثائق لدراسة الحياة الأدبية بالمغرب، ولقد قال الفاسي عنها : (إن رجالات العلم في غابر العصور، كانوا يتخذون كنانيش يسجلون فيها غرائب النوادر والأخبار، التي

تعترضهم أثناء مطالعاتهم، أو يسمعونها خلال جلسات أدبية، كانوا يقيمونها مع أشياخهم، فإذا وجدوا هذه الطرائف في كنايش، أو أوراق مخطوطة، أطلقوا عليها، (وجدات) أما إذا سمعوا مباشرة من أشياخهم، فإنهم يسمونها : (إفادات) إذا كانت نثرا، وإنشادات إن كانت شعرا، والمغاربة يطلقون على هذا السجل الذي يضم هذه الإفادات والإنشادات، (كناشة).

وهي من أتمن الوثائق لدراسة الحياة الأدبية بالمغرب، إلى أن يقول : وأول مغربي اعتنى بهذا النوع الأدبي، وسجل اسمه بسجل التاريخ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي المتوفى سنة 790. وقد أطلق على كتابه اسم «الإفادات والإنشادات» فسار على نهجه العديد من الأدباء، حتى أصبحت هذه العبارة تعرف رواجاً في الأوساط العلمية، ثم اهتم بهذا الفن بعد ذلك، الشيخ عبد الحفيظ الفاسي، فألف كتاباً سماه : «الإفادات والإنشادات، والنوادر والإجابات» وكانوا يطلقون عليها «الوجدات» وقد اعتنت المجلة المصرية من جهتها، بنشر العديد من النوادر والأخبار المستظرفة، تحت عنوان «نقل الأديب» بقلم الأستاذ محمد النشاشيبي، ونالت هذه المبادرة إعجاباً لدى الأوساط الأدبية، بالبلاد العربية، فكتب الأستاذ حسني عبد الوهاب التونسي عن هذه المبادرة بمجلة الجامعة، تحت عنوان «نقل الحبيب إلى

الأديب»، وقد اعترف في كتاب أرسله للنشاشيبي بأسبقيته في هذا الميدان، فأجابه بأنه مقلد هو الآخر، وليس مبدعاً الخ.

لقد اطلع الفاسي على كل ما ذكر، ولما واثته الفرصة لدى إصدار بعض الجرائد والمجلات، (كالمغرب) و(ملحقه) و(الثقافة المغربية) و(رسالة المغرب) ومجلة (البيئة) صار ينشر فيها بعض هذه الإفادات التي حصل عليها أثناء مطالعته، تحت عنوان (الإفادات والإنشادات) وقد بذل الأستاذان الطالبان : أحمد كرماط ومحمد الشرقاوي، جهداً طيباً في جمعها، والتقاطها من المجلات التي نشرت فيها، في بحثهما لنيل الإجازة، أثبت هنا، البعض منها كأمثلة لا غير :

الآن أبكي بكاء المسلمين. (2) أبهذا البخل تعرفيني. (3) الإنفاق عليك، والأجر علي. (4) بريء الكلام، وإبراء الأثم. (5) جارية ترقص وسط الجامع. (6) حب التفاح، ونوى الخوخ. (7) لا تسفكن دم الزجاجة. (8) نجوى في مجلس مفسر. (9) من وقف على ما بالقلوب، فليصغ سماعه. (10) يقيم، لأن أحمد لا ينصرف الخ وكان من المفيد وقد نشر الباحثان هذه الإفادات في بحثهما، بعدما رجعا إلى أصولها، أن يشرحا كيف قيلت، ومن قالها، لتتم الفائدة، ولم يمكن لي

محمد الفاسي في زيارته لمعرض الكتاب الإسلامي  
الذي نظمتها جمعية شباب النهضة الإسلامية  
ويظهر في الصورة عن يمينه محمد البقالي وعن يساره أبو بكر القادري  
والحاج أبو بكر الصبيحي ووراءه الأستاذ محمد المنوني وآخرون

وأنا بعيد عن خزانتي العلمية، وعن المكان التي يمكن أن أراجع إليها لتفيدني، أن أتدارك ما فات الباحثين، ولكن ما لا يدرك كله، لا يترك جله<sup>(1)</sup>.

### نشاطات محمد الفاسي الثقافية

يعتبر الأستاذ الفاسي، من أنشط أفراد جيله، في مجال الثقافي، والأدبي، والتاريخي، فمنذ شبابه المبكر، وهو لازال طالبا بباريز، صار ينشط في كثير من المجالات المختلفة، فاهتم بالرحلات التي قام بها الرحالون المغاربة، وبحث منقبا عن الحالة الأدبية في عهد المرابطين، والموحدين، والمرينيين، وكتب عن الأدب الشعبي المغربي باللغتين، بالعربية والفرنسية، وتابع خلال حياته كلها، كثيرا من الدراسات في التعريف بالأدب المغربي، وحول الأمثال المغربية، وحول الإنتاج المغربي في العلوم الفقهية، وكانت له كتابات متعددة، يعرف فيها ببعض الأدباء والشعراء المغاربة خلال التاريخ، والرجوع إلى بعض المجالات التي صدرت بالمغرب، ابتداء من أوائل الثلاثينيات، حتى إلى ما بعدها من السنوات، سواء في عهد الحماية الفرنسية، أو في عهد الاستقلال، إلى أن مرض مرضه الأخير الذي التحق بعده ببارئه، يلاحظ

---

(1) بعد كتابة ما ذكر، استطعت الحصول على الافادات والانشادات المذكورة، ولقد جمعتها ثم جعلتها من ملحقات الكتاب، ليرجع إليها من شاء.



وجود اسم الفاسي في الكثير منها، فلقد كتب في مجلة (المغرب) الشهرية التي كان يصدرها محمد الصالح ميسة الجزائري، ابتداء من سنة 1933 ثم كتب في جريدة (المغرب) وملحقها الثقافي ابتداء من سنة 1937 ثم في مجلة (الثقافة) ثم في جريدة (رسالة المغرب) التي كانت تصدر في الأربعينيات، وفي جريدة (العلم) التي ابتداء صدورها سنة 1946 ثم في مجلة (البحث العلمي) و(دعوة الحق) ومجلة (الإيمان) في الستينيات وفي مجلة (المناهل) التي كانت تصدرها وزارة الثقافة، وفي مجلة (تطوان) وفي مجلة (البيئة) التي كان يصدرها الأستاذ علال الفاسي بمعونة الأستاذ عبد الكريم غلاب وفي مجلة (رابطة الجامعات الإسلامية).

وأشير إلى أن اهتمام الفاسي بالأدب العربي الاهتمام المتتابع، كان حسب ما روى عنه، سنة 1940، حيث كان يلقي دروسا في معهد الدراسات العليا بالرباط، حول تاريخ الأدب العربي بالمغرب الأقصى، كما كان يلقي بعضها في الإذاعة المغربية.

ويفهم مما كتبه رحمه الله، أن الأدب العربي كان ضعيفا جدا قبل المرابطين والموحدين، وأن أقدم شاعر مغربي برز في الميدان بروزا خفيفا، هو ما أشار إليه البكري في قصيدتين يهجو فيهما القاسم بن المولى إدريس الثاني، والتي يقول في أولهما :

قل للزنيـم زنيـم طنـجة عش بها  
لا يحسدنك في بلادك حاسد

كما أشار البكري إلى شاعر آخر يسمى : إبراهيم  
بن أيوب الذي قال في قصيدة يمدح فيها أحد الأمراء :

أيا أملي الذي أبغي وسؤلي  
ودنياي التي أرجو وديني

كما أشار البكري إلى شاعر آخر، هو الشاعر سعيد  
بن هشام المصمودي، الذي يصف بأبيات، معركة دارت  
بين المسلمين والبرغواطيين، على ضفاف وادي بهت،  
والتي جاء فيها :

هموم... برابر خسروا وضلُّوا  
وخابوا لاسقوا ماء معينا  
يقولون : النبي أبو غفير  
وقد أخزى الله أم الكاذبين  
ألم تسمع ولم تريوم بهت  
على آثار حملهم رنيننا

لقد أورد هذا الذي ذكرته، صاحباً بحث عن  
الأستاذ الفاسي، وهما الأستاذان كرماط والشرقاوي،  
ناقلين ذلك عن جريدة المغرب اليومية الصادرة عام 1940  
العددان : 346 و 360. ومن الطريف أن أسجل هنا أن  
العلامة المفتي أبو بكر زنيير. رد على الأستاذ محمد  
الفاسي، لدى نشره للأبيات الشعرية السابقة، قائلاً : إنها

لا ترقى إلى معنى الأدب، ولا تدل على نعت صاحبها بالأديب (المرجع السابق).

بعد هذا كله، أرجع إلى أن الأستاذ الفاسي، صار يعتنى بالأدب والشعر في عهد المرابطين وما بعدهم، فيحاضر في الموضوع، ويترجم لبعض الأدباء والشعراء، ويؤكد ما قاله المراكشي صاحب المعجب : (من أن أمير المسلمين يوسف (ابن تاشفين)، صار يرد عليه من الجزيرة من أهل كل علم فحوله، حتى أشبهت حضرته، حضرة بني العباس في صدر دولتهم، وأنه اجتمع له ولابنه من أعيان الكتاب، وفرسان البلاغة، ما لم يتفق اجتماعه في عصر من العصور) ويستدل الفاسي على اعتناء المرابطين في الفترات الأخيرة من حياتهم بالعلم والعلماء والأدباء، ما جاء في الذخيرة لابن بسام، وما جاء في قلائد العقيان، للفتح ابن خاقان، والذي يرجع الفضل في تأليفه للأمير المرابطي، أبي اسحاق بن يوسف بن تاشفين ثم يقول : ففي هذين المصدرين الهامين، ذكر العديد من أسماء الشعراء والأدباء، نورد منهم على سبيل المثال لا الحصر : عبد الله بن القابلة السبتي، والحسن بن زباع، الذي قال في قصيدة ضادية، بمدح بها يوسف بن تاشفين، والتي جاء فيها :

أرى بارقا بالأملق الفرد يبصر  
يذهب جلباب الدجى ويفضض  
كأن سليما من أعاليه أشرفت  
تعد لنا كفا خضيبا وتقبض

ثم يقول : وبالإضافة إلى هذين الشاعرين، هناك عدد آخر لا يستهان به، سواء في المجال الشعري، مثل ابن حبوس، أو في المجال النثري كالكاتب ابن عطية، والأديب الشاعر والناقد، القاضي عياض، إلى أن يقول : ويمكننا أن نقول بأن العصر المرابطي، عصر بناء للثقافة العربية، ففيه اطلع المغاربة على الكتابة الأندلسية، وأخذوا عنهم الكثير، وصاغوه حسب ما يوافق مزاجهم وذوقهم).

كما أشرت إلى ذلك من قبل، بدأ الاهتمام الجدي من طرف الأستاذ محمد الفاسي بالأدب والأدباء في سنة 1940، فمنذ ذلك الوقت، وهو يبحث، وينقب، وينشر بعض أبحاثه في المجالات والملحقات، والفاسي وهو يكتب عن الأدباء والمؤرخين المغاربة خلال التاريخ، يكسو كتابته طابع الروح الوطنية، والاعتزاز بالقومية المغربية، والتباهي بالدول التي حكمت المغرب، وبالأخص إذا كانت تلك الدول مثل دولة الموحدين، والمرينيين، فدولة المرابطين، وإن كانت بربرية، فإنها عملت على نشر الثقافة العربية والفكر الإسلامي، ابتداء من مؤسسها الأول الشيخ العلامة المصلح المجاهد عبد الله بن ياسين، الذي جاهد كل أنواع الجهاد والمقاومة، الزيغ والانحراف في بعض القبائل المغربية، وفي طليعتها البورغواطيون، حتى قامت الدولة على أسس قوية، من

العلم، والمعرفة، والدين، فاكرمت العلماء، وأعطتهم من الاعتبار ما لم تعط لغيرهم، سواء منهم علماء الدين، أو علماء الأدب، أو علماء التاريخ، أو أساتذة الفلسفة، ففي المجال الأدبي بالخصوص، ذكر أنه أبرز الكثير من الأدباء والشعراء في مختلف الأزمنة الموحدية، التي قسمها إلى ثلاثة عصور : العصر الأول برز ابن حبوس، والبيدق، وابن هشام اللخمي، أما العصر الثاني الذي يعتبره أزهي عصور الموحدين، فلقد ظهرت فيه شخصيات أدبية متعددة، جمعتهم عاصمة الموحدين، مراكش) وأتوا من مختلف الأقطار والجهات، وألفت تأليف كثيرة في مختلف العلوم، وأسست المدارس وانتشر التعليم، وكثر الإقبال عليه. وبرز علماء في الأدب، وفي الرياضيات، وفي علم الفلك، والجبر، والفلسفة، وفي الشعر، ذكر منهم ابن الياسمين في الرياضيات، وأبو حفص عمر الفاسي، الذي قيل فيه : (أقسم بالله أبو حفص عمر) والأمير أبو الربيع سليمان الموحي، الذي برز في الشعر، والشاعر أبو العباس الجراري، وغيرهم كثير، وأسست في هذا العهد الخزائن والمكتبات، مثل خزانة القرويين، وخزانة ابن يوسف، ويقول : ان هاتين الخزانتين، تعدان من أغنى خزانات العالم، في تلك الفترة.

والواقع أن الفاسي رحمه الله وهو يتحدث عن الدولة الموحدية، وبعدها عن الدولة المرينية، كأنه يعطي

الدروس لبعض المتنكرين للنهضة العربية الإسلامية المثلى، التي قامت بها وشجعته وتبنتها دولة بربرية، تعتبر بحق مفخرة للمغرب، آمنت كل الإيمان بفكرة الوحدة التي أتى بها الإسلام، ودفنت الأفكار العنصرية التي نهى عنها الإسلام، واعتبرت أن الشعب المغربي والأمة المغربية، كل لا يتجزأ، سواء منه الأصلاء الأمازيغيون، أو الواردون العرب في مختلف العصور، فالعقيدة جمعت بين مختلف العناصر، وقوت روابط الأخوة الإسلامية التي جمعت بين المتساكنين، سواء منهم الواردون من الأندلس، أو من الشرق، أو من الأقطار الإفريقية، فلا فرق بين عجمي وعربي، ولا بين أندلسي وإفريقي، إلا بالتقوى، فالاندماج وقع، ومضت عليه قرون، ولم يبق للذين يريدون التفرقة والتطاحن اللذين خطط لهما الاستعمار الفرنسي، أي ماء عكر، يصطادون فيه، والشعب المغربي والحمد لله، يفخر بأجداده وأجداده، ويجعلهم قدوات وأسوات، سواء كانوا برابرة أو عرباً، فنحن مغاربة، قبل كل شيء، وبعد كل شيء، وأصولنا اجتمعت على الخير، والحق، والوحدة الدائمة، والإيمان بالذي دعانا أن نكون أمة واحدة، بحول الله.

#### **المغرب في عهد الدولة المرينية**

لكل شيء إذا ما تم نقصان، هكذا يقع للأفراد، كما يقع للجماعات والدول، فالدولة الموحدية التي بسطت

نفوذها على الشمال الإفريقي بأجمعه، في بعض الفترات، أبقى الله أن تدوم، فأصابها ما أصاب غيرها من السابقين من الدول والشعوب، وهبَّ فيها الضعف والذبول، وأراد الله أن تخلفها دولة بربرية أخرى، لا تقل عنها أهمية، ومكانة، وعطاء، ومجدا، هي الدولة المرينية التي تعتبر بحق، دولة البناء والتشييد، ودولة العلم والمعرفة، فشيدت المدارس وحبست الخزائن العلمية، وشجعت طلبية العلم والمعرفة، وأمدتهم بالمعونة، وتوفير أسباب الراحة، من أكل وسكن وكتب، فظهر الأدباء، والشعراء، والعلماء، والرحالة، في عصرها، ويكفي أن نذكر الرحالة الكبير ابن بطوطة، ويكفي أن نزور كثيرا من المدن المغربية، لنقف على المدارس العلمية التي أنشأها ورعاها المرينيون.

(أولئك آباي فجئني بمثلهم

إذا جمعتنا يا جريرُ المجمع)

يقول الفاسي : «وقد أعطى هذا الاهتمام أكله، فنبت العديد من الشعراء والأدباء، بل تعدوا هذا المجال، إلى مجال الاختراعات، فإليهم يرجع الفضل في الاختراعات النارية (البارود) التي كانوا يستعملونها للدفاع عن أنفسهم.

إن إعجاب الفاسي بتاريخ بلاده، جعله هو وصديقه الحاج أحمد بلافريج يتوليان ترجمة محاضرات

الدولتين المرابطية والموحدية، للاحوين «طارو» الفرنسيين، ويجعلانها في كتاب أسمياها : (أزهار البساتين، في أخبار الأندلس والمغرب على عهد المرابطين والموحدين) وقد أشرت إلى هذا في كتابي عن (الحاج أحمد بلافريج : السياسي المخنك) كان الفاسي يتألم ويشتكى من إهمال العرب عموما، والمغاربة خصوصا، لأدبهم وآبائهم، وتاريخهم ومؤرخيهم، وذلك ما جعل حسب قوله (أربعة عشر قرنا قليلة الإنتاج العربي الشامل، على عكس الأوروبيين، مستدلا بما رواه صاحب كتاب سلوة الأنفاس، نقلا عن اليوسي، حيث يقول : (إن جماعة من العلماء، وسموا المغاربة بالإهمال، ودفنهم فضلاءهم في قبر من تراب وإخمال، فكم فيهم من فاضل نبيه، طوى ذكره عدم التنبيه، فصار اسمه مهجورا، كأن لم يكن شيئا مذكورا) ثم يعقب الفاسي على ما ذكر فيقول : (وهذا هو السبب في ضياع الإنتاج المغربي، غير أن الكارثة لم تقف عند هذا الحد، بل حتى الإنتاجات التي قاومت الزمن، بقيت مخطوطات مغمورة في بعض الخزائن الشخصية، يصعب الحصول عليها ودراستها).

هذا الإهمال لتراث السابقين، جعل الفاسي يتتبع حسب إمكانياته، التعريف ببعض الأدباء، والشعراء، والمؤرخين، والرحالة، الذين يقف على ترجماتهم أثناء مطالعته، سواء في العصر الموحد، أو المريني، أو



غيرهما من العصور، وهكذا نراه في بعض مقالاته التي نشر عن عصر الموحدين والمرينيين، يترجم بتطويل، أو اختصار، لبعض الشخصيات التي يجدها أثناء أبحاثه، مثل عبد الكريم التميمي ومؤلفاته، وعبد الواحد المراكشي، صاحب كتاب المعجب، والشاعر بن خبازة، وابن حبوس، والجراري، وابن عبدون، الشاعر، وأبو الحسن الشاري، الذي قال عنه : إنه العالم الكبير، الذي أسس مدرسة بمدينة سبتة، تعد الأولى من نوعها، وكان يعترف له بالمكانة العلمية الرفيعة، بين القدماء والمحدثين. وأبي العباس بن فرتون، صاحب كتاب الصلة، وابن دحية الكلبي، والذي أكد أنه مغربي لا أندلسي، كما تحدث عن العالم الكبير أبي الحسن المراكشي، الذي قال عنه : (إن أمثال هذا العالم الكبير، أبي الحسن المراكشي، لا يمكن للمؤرخين أن يهملوه، ولا سيما المؤرخين المغاربة، أبناء وطنهم)، ثم قال : (فهذا الشاعر، لم يكن يعرف حتى اسمه، لولا ذكر حاجي خليفة لبعض كتبه، التي بقيت في بعض الخزانات الأوربية المشرقية، والتي من خلالها، أدرك أهمية هذا العالم الفلكي الكبير، مشيراً إلى أهميته العلمية، في علمي الفلك والرياضيات، وإلى بعض كتبه التي نجت من الاندثار). ثم تحدث عن القاضي عياض، وما أدراك ما القاضي عياض، الذي قيل عنه : لولا عياض ما ذكر المغرب، وأثناء حديثه عن العصر

المريني، تكلم بتفصيل عن الشاعر مالك بن المرحل، وتنقلاته، وقال إنه شاعر وكاتب، متنوع اللغة والمعرفة، كما تحدث عن ابن البناء المراكشي، مؤكداً أنه أنبغ عالم رياضي عرفه المغرب، ثم قال : (هذا العالم الذي ذاع صيته في هذا الميدان، وبرع في مختلف الفنون، ولد بمراكش من عائلة متواضعة، كانت تتعاطى للبناء، كما يبدو من لقبه، وتلقى دراسته الأولية في الكتاب، ثم انتقل إلى الأخذ عن شيوخ عصره الكبار، خاصة في علوم الهيئة والفلك، ثم قال : ولهذا الفلكي كتب عديدة، فذكر منها على حسب المثال لا الحصر، حاشية على الكشاف في التفسير، (2) الكليات في المنطق، (3) ومؤلف بنفس العنوان السابق : الكليات في اللغة، (4) الروض في صناعة البديع، (5) مقالة في عيوب الشعر، وفي النقد، وكذلك فعل في الحقول المعرفية، مثل مؤلفه في الحساب، الذي نال إعجاب العلماء شرقاً وغرباً، وقد وضعه تحت عنوان : تلخيص أعمال الحساب<sup>(2)</sup>.

#### **من اهتمامات الفاسي بالأدب العربي في عهد المرابطين**

المعروف لدى الباحثين، أن الدولة المرابطية، رغم مكانتها التاريخية، وأعمالها الخالدة، خصوصاً فيما يتعلق بالوحدة المغربية وتحصينها، ومقاومة المنحرفين

---

(2) انظر مجلة معهد الدراسات الإسلامية العددان : 1 و 2 مدريد سنة 1958.

الذين نشروا الضلالات والمبادئ الهدامة للإسلام، أمثال البرغواطيين، الذين كثرت ضلالاتهم، وطغت إماراتهم، رغما عن هذا كله ظل اهتمامهم بالأدب العربي، ضعيفا ضعفا كبيرا، وانحصر اهتمامهم بالثقافة الفقهية، التي غلوا فيها غلوا كبيرا، حيث أصبح الفقهاء هم ذوو الشأن في البلاد، وكل من لم يأت عن طريقهم، لا يلقى لهم بال، ففي الوقت الذي كانت سوق الأدب رائجة في الأندلس التي خضعت في أيامهم للحكم المرابطي، فإن تأثر علماء المغرب وفقهائه بالأدباء الأندلسيين، لم يأخذ طريقه، إلا في أواخر عهد يوسف بن تاشفين، ثم في عهد ولده علي بن يوسف، فلقد فطن يوسف إلى ضرورة وجود مؤرخين وأدباء، يسجلون أخبار الدولة المرابطية، وأعمالها، ونشاطاتها، مثل ما هو موجود بالأندلس، وهكذا عمل على جلب بعض الأدباء، والمؤرخين من الأندلس، وتشجيع الذين يحذون حذوهم، ويسيرون على منوالهم من المغاربة، وهذا ما جعل الفاسي يهتم بهذه النقطة، ويبرزها ويرد على المشرق (دوزي) الذي هاجم يوسف ابن تاشفين، ونعته بالجهل والغباوة.

لقد اعتمد الفاسي في رده على دوزي على ما أكده المستشرق الإسباني (فلانسيا) صاحب كتاب (تاريخ الآداب العربية الأندلسية) من أن الآداب العربية، لقيت

الاهتمام في ذلك العهد المرابطي، وظهر شعراء، ومؤرخون، وجغرافيون، في عهدهم، ويأتي الفاسي بذكر طائفة من هؤلاء الشعراء. راجعاً إلى كتاب الذخيرة لابن بسام وابن خاقان، في كتابه قلائد العقيان، وإلى أبي زكرياء، يحيى ابن الزيتوني، الذي قال عنه ابن بسام : (له شعر بديع، وتصرف مطبوع) ثم يذكر الفاسي في ختام بحثه (أن ثلثة من الشعراء، تنتمي إلى الشمال المغربي ظهرت، وأن الأدب تدفق في المدح والنسب) عكس الجنوب المغربي، الذي بقي على بربريته، حتى أوائل القرن الخامس، حيث برز بعض الفقهاء في (أغمات) التي ظهر فيها (هارون الأغماتي) الذي تحدث عنه الكثيرون من الباحثين.

### العصر المريني ومميزاته الأدبية

اعتبر الأستاذ الفاسي الدولة المرينية، أهم دولة طبعت المغرب بالطابع الحضاري، الذي سار عليه خلال القرون، فإلى عهده (ترجح كل تقاليد القومية، وجل المؤسسات الاجتماعية التي قامت، ترجع إلى العهد المريني، رغم أن الدولة المرينية لم تقم على أساس دعوة دينية إصلاحية، مثل ما جاءت به دولتا المرابطين والموحدين)<sup>(3)</sup>.

---

(3) نشأة الدولة المرينية. ص 23 (وحي البيئة).

لقد كان أول من قام ضد الدولة الموحدية، هو عبد الحق المريني سنة 613 هـ، الذي ابتدأت حركته من نواحي فكيك، ونزلت إلى تازة، ثم إلى المحيط الأطلسي، وصار يقاوم ويحارب الأعراب من بني هلال، الذين عاثوا في الأرض فسادا، والذين أفتى العلماء بضرورة مقاومتهم.

وينبه الفاسي في بحثه على أن لفظة (أعرابي) لاتعني لفظة (عربي) فالأعراب هم البدو الرحل، الذين لم يتذوقوا طعم الحضارة، بل بقوا بدويين ساكنين في الخيام، ولا يهتمون إلا بتربية المواشي، وما شاكل ذلك. وهؤلاء هم الذين أفسدوا في الأرض، واستنكر العلماء أفعالهم، أما العرب المتحضرون الذين نشروا الإسلام، وأتوا بحضارته ولغته، فشيء آخر، ثم يقول الفاسي : (ورغم كل المخازي التي تنسب لأعراب إفريقيا الشمالية، فإن لهم مزية لا تجحد، فضلا لا ينكر، وهو تعريب قبائل المغرب، ولولاهم لكان من يتكلمون العربية اليوم بالمغرب، أقلية ضعيفة، إلى أن يقول : (وموجة التعريب الحقيقية في المغرب، لم تكن في الطور الأول بعد الفتح الإسلامي، إذ أن المغاربة وإن كانوا أسلموا عن بكرة أبيهم، فإنهم بقوا محافظين على لغتهم، كما حافظ الفرس، والترك، والأفغان، وغيرهم من الأمم على لغاتهم، بعد اعتناقهم الإسلام، وهكذا لولا دخول

الأعراب بلادنا على يد المنصور الموحد، كانت اللغة العربية تبقى ضعيفة في بلادنا<sup>(4)</sup>.

تأثير الدولة المرينية في بناء المجتمع المغربي، كانت له مظاهر متعددة، سواء في الملبس، أو المأكل، وفي سائر الشؤون الاجتماعية، ومنها المباني، والفنون الأدبية، والموسيقية، حتى إن المثل المغربي يقول : (من بعد بني مرين، وبني وطاس، ما بقوا ناس).

لقد دامت الدولة المرينية أزيد من قرنين، إن لم تكن ثلاثة قرون، وقامت في عهدها نهضة علمية، وكثر العلماء، وأنشئت المدارس في كثير من أنحاء المغرب، وصار التاريخ يدون، وظهر كتاب (الأنيس المطرب بروض القرطاس بتاريخ المغرب ومدينة فاس) وكتاب (الذخيرة السنية) و(روضة النسرين) وكتب الرحلات، التي من أشهرها (رحلة ابن بطوطة) ورحلة (ابن رشيد الفهري) ورحلة (العبدري) وبرز رحالون، ومؤرخون كبار، أمثال ابن بطوطة، وابن خلدون، والمقري وابن الخطيب، وابن مرزوق وابن جزري الكلبي الأندلسي، كاتب رحلة ابن بطوطة.

ويذكر الفاسي في بحثه طائفة من الشعراء الذين برزوا في ذلك العهد، ومنهم : (مالك بن المرحل) و(عبد العزيز الملزوزي).

---

(4) نشأة الدولة المرينية. ص 10 وحي البينة.

كما برز كتاب، وأدباء، ومؤرخون، وعلماء، في مختلف ميادين المعرفة، وفي طليعتهم الرياضي الكبير (ابن البناء) والنحوي الشهير (ابن آجروم) والمؤرخ (ابن عذاري) والجغرافي (ابن عبد المنعم الحميري) زيادة على من ذكرناهم سالفًا.

إن استعراض أمثال هذه الأسماء، إن دل على شيء، فهو يدل على أن الدولة المرينية، اهتمت بالاهتمام الزائد بالناحية العلمية المتعددة الاختصاص، وان التوجهات العلمية، لم تكن مقتصرة على العلوم الدينية الفقهية، ولكنها كانت بعيدة الآفاق، فاهتمت بكل النواحي المعرفية السائدة في الأندلس، وقبلها في العصر العباسي في بغداد.

والفاسي عندما يقرر هذا، يستطرد فيقول: (وليس معنى هذا أن الدول الأخرى قبلها وبعدها، لم تشغل بتشجيع العلم، وإنما امتازت الدولة المرينية، باتخاذ ذلك مبدأ يسير عليه كل خلف من ملوكها، اتباعا لسلفه، مع تخليد مآثر في هذا الباب، لاتزال ناطقة بفضلهم إلى وقتنا<sup>(5)</sup>).

ويعتبر الفاسي، أن أزهى عصور العهد المريني في المجالين الأدبي والفني، هو النصف الأول من القرن الثامن

---

(5) ص 13 من كتاب (وحي البيئة).

الهجري، الذي كان عصر ازدهار للعلوم في كل العالم العربي، الذي تحرر من هجمة التتر والمغول، والذي نضجت فيه العقلية المغربية نجاحا بلغ مداه، بعد فترات التطورات التي وقعت في عهد الدولتين : المرابطية والموحدية.

ويستدل الفاسي على هذا النضج الذي وقع بالمغرب، في العهد المريني، بالاتجاه إلى تأسيس المدارس لايواء الطلبة، وتكوين الخزائن العلمية، وبعد أن يعدد أسماء بعض المدارس المبنية كمدرسة الصفارين بفاس، يؤكد أن مدرسة ابن يوسف بمراكش هي من بناء المرينيين، وليست من بناء من سبقهم من الدول، وأن مؤسسها وبانيها هو أبو يوسف، يعقوب المنصور المريني، كما يشير إلى مدارس ومنشآت أخرى مثل المستشفيات، ودور الصناعة والمارستانات للمرضى، والغرباء، والمجانين، والزوايا والرباطات لايواء المسافرين، وعابري السبيل، ويشير إلى أن دار الصناعة بمدينة (سلا) لصنع السفن الحربية، تعتبر من منجزاته، وأنه ابتدئ في صنعها سنة 657، وأنها كانت تهيئ لمنازلة العدو الذي يهاجم المغرب، ويشير في بحثه هذا إلى عناية ابن يوسف يعقوب المنصور، بالعلم والعلماء، خصوصا في شهر رمضان المعظم، حيث يحضر معهم اجتماعات لمذاكرتهم ومناقشتهم في كثير من المسائل العلمية. ويذكر أن الجلسات العلمية، كانت تدوم إلى الثلث الأخير من الليل.



لقد كان عهد المرينيين كما ذكرنا عهد العلم والعلماء، وعهد بناء المدارس والخزائن، ولم يكن هذا البناء، والتشييد في عهد يعقوب المنصور فحسب، ولكنه بقي مستثمرا في عهود أبنائه وأحفاده، مثل أبي سعيد عثمان بن أبي يوسف، وابن الحسن، الذي قال عنه ابن مرزوق الخطيب في كتاب المسند الصحيح الحسن : (ثم أنشأ رضي الله عنه في كل بلد من بلاد المغرب الأوسط مدارس، فأنشأ بمدينة (تازة) قديما مدرستها الحسنية، وبلاد مكناسة، وطنجة، وآنفة، وآزمور، وأغمات، ومراكش، والقصر الكبير، وبالعباد بظاهر تلمسان، وحذاء الجامع الذي قدمت ذكره، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان) ثم جاء بعده (أبو عنان) الذي أنشأ بدوره كثيرا من المدارس بفاس، وغيرها، والتي وضع فيها ساعة لها أجراس ضخمة، إذا دقت، سمع طنينها من أقصى المدينة، وبنى (بسلا) مدرسة لدراسة الطب، هجرت لفترات طويلة، وهي الآن مركز للقضاء الشرعي.

ويختتم الفاسي بحثه بقوله : (وان كانت الدولة الموحدية، تمثل أعظم العصور من الناحية السياسية، وان كان الأدب ازدهر في أيامهم، حتى أنني أعتبر أن أعظم شعرائنا في كل عصر، هو أبو العباس الجراري، فإن الإنتاج الأدبي والفني في العصور المرينية، كان يتوفر على

مميزات، تجعل له مكانة مرموقة في تاريخ الحضارة المغربية.

### **هل كان للشعر العربي بالأندلس تأثير في الآداب الغربية ؟**

من المواضيع التي اهتم بها الأستاذ محمد الفاسي، في بداية دراساته، وكتابه الأدبية والتاريخية، موضوع الأدب المقارن، فلقد لفت نظره، اهتمام المستعربين والاختصاصيين في تاريخ الآداب الرومانية، بالأدب المقارن في أوروبا، في القرون الوسطى، حيث كان الأدب إذ ذاك، منحصرا في الأديرة، والمدارس التابعة للكنائس، وكانت اللغة السائدة فيه هي اللغة اللاتينية، وهكذا كتب مقالا في ملحق جريدة (المغرب) التي كانت تصدر سنة 1938، أشار فيه إلى أن الشعر البروفونسالي، أشبه بشعر الصوفيين المسلمين، وأن الدور الذي قام به الباحث الاسباني (خوليانا) (في إبراز وجود الشبه بين هذا الشعر، والشعر العربي بالأندلس) واضح، و(يتمثل في العروض، وتركيب القصائد، بالإضافة إلى المشابهات التي ترتبط بجوهر المواضيع المطروقة) وهذا يدل على أن الشعر العربي بالأندلس، كان له تأثير في الآداب الغربية.

### **التواريخ وابتداؤها**

قضية التواريخ عندنا بالمغرب، نالت كثيرا من الاهتمام في بداية النهضة الحديثة، أي ابتداء من

الثلاثينيات، فلقد كان المغاربة لا يؤرخون إلا بالتاريخ الهجري، ولما بسطت الحماية الفرنسية وجودها بالمغرب، صارت الإدارة الفرنسية تؤرخ بالتاريخ الميلادي، وبقيت السلطات المخزنية تؤرخ بالتاريخ الهجري، وبقي المغاربة متشبتين بالتاريخ الهجري، فترات طويلة، إلى أن صار البعض يستعمل التاريخين معا، أي الهجري والميلادي، ثم صار التاريخ الميلادي يكتسح الساحة، خصوصا لدى المتعلمين بالمدارس الفرنسية، وبقيت جماعات وطنية من الشباب، صامدة أمام محاولة سيطرة التاريخ الميلادي، وبقيت الإدارة المخزنية العليا، وفي طليعتها القصر الملكي، محتفظة في رسائلها، وفي الظواهر والقرارات التي تصدر عنها، بالتاريخ الهجري متبوعا بالتاريخ الميلادي إلى الآن.

موضوع التواريخ هذا، اهتم به الأستاذ الفاسي، في ما كتبه من أبحاث ودراسات، فلقد كتب في مجلة (رسالة المغرب) التي كان يشرف عليها المرحوم الفقيه محمد غازي سنة 1943 مقالا حول هذا الموضوع، تحدث فيه عن ضرورة معرفة التواريخ، لمعرفة الأحداث التي تقع، ذاكراً أن الأمم القديمة، كانت تؤرخ بالأحداث الطبيعية، أو الانقلابات السياسية، وأن المؤرخين المصريين كانوا يؤرخون بسني تولية ملوكهم، وأن اليابانيين كانوا يؤرخون بالأجيال، (وكان الجيل عندهم ثلث قرن) اما

الصينيون، فقد قسموا الدهر إلى حقب، ثم جاء التاريخ المسيحي، أي الميلادي، الذي أصبح هو التاريخ المعمول به عالميا ويقول الفاسي : (ان التاريخ الهجري، أقدم من التاريخ المسيحي، ذلك أنه لم يفكر في التاريخ الميلادي إلا بعد أن مرت أربعون وخمسمائة سنة، عن تاريخ ولادة المسيح، ولم تتخذ سنة الميلاد مبدأ للتاريخ، إلا بعد قرنين عندما أمر الرئيس الفرنسي شارلمان بذلك) ثم يقول الفاسي ( والملاحظ أنه أصبح ينافس التاريخ الهجري الأصيل، الذي يعد أقدم تاريخ منظم عرفته البشرية).

#### رسائل إسماعيلية تنشر لأول مرة

في بحث كتبه الأستاذ الفاسي في مجلة (تطوان) في العدد الخاص، الذي صدر بمناسبة الذكرى المئوية، لجلوس السلطان المولى إسماعيل على عرش المغرب، ذكر فيه أن السلطان المذكور، بعث بنحو أربعين رسالة، إلى شيخ الإسلام سيدي عبد القادر الفاسي وابنه من بعده، ويختلف مضمونها من رسالة لأخرى، ويقول الفاسي : (ويتضح لنا من خلال تلك الرسائل، أن السلطان كان يستفتي العلماء ورجال الشريعة، ولا يقرر في أمر دونهم) ثم يقول : «إن جل ملوك المغاربة كانوا لا يوقعون رسائلهم بأيديهم، إلا ما كان من السلطان المولى إسماعيل، فإنه كان يوقع بهذه العبارة : (وبه كتب

إسماعيل لطف الله به) ويمتد تاريخ هذه الرسائل من 18  
مايه 1676 إلى 13 نونبر 1703.

### هل كان للمغاربة أدب في القرون الأولى قبل الفتح الإسلامي؟

من أهم المواضيع التي أثارها الفاسي، وهو يبحث  
في تاريخ الأدب المغربي، موضوع الأدب في المغرب، في  
القرون الأولى، قبل الفتح الإسلامي، ولربما كان اهتمامه  
الزائد بالأدب المغربي، وهو لازال بفرنسا يدرس، جعله  
يتساءل مع نفسه حول الأدب المغربي، قبل الفتح  
الإسلامي، فغير خاف أن الفاسي، ألقى عدة محاضرات  
حول الأدب المغربي باللغة الفرنسية، ومن الممكن أن  
تكون وجهت إليه أسئلة في موضوع الأدب قبل الفتح  
الإسلامي، ولاشك أنه أجاب عنها، حسبما وصل إليه  
علمه، وبعد رجوعه إلى بلاده في الثلاثينيات، كتب عدة  
مقالات في الأدب المغربي، وكانت تنشر بجريدة  
(المغرب) اليومية، وذلك في الأرقام الآتية : عدد 312  
الصادر في سنة 1939 والعدد 346 الصادر عام 1940  
وتوجد نسخ منها في الخزانة العامة بالرباط.

ولقد جاء فيما كتبه، أنه لا بد أن يكون هناك أدب  
وأدباء في المغرب، قبل الفتح الإسلامي، مستدلا بأبيات  
قالها المعتمد بن عباد، لدى أسره بمراكش قال فيها :

شعراء طنجة كلهم والمغرب  
ذهبوا من الإغراب أبعد مذهب

ثم قال : ومن الشطر الأول، يتبين لنا أن المغرب لم يكن منعقد الشعراء والأدباء، وإن لم يذكرهم التاريخ المغربي، والواقع أن جهل الكثيرين من الذين كتبوا تاريخ المغرب للغة الأمازيغية، لم يجعلهم يبحثون في هذا الموضوع، البحث الدقيق، حيث أنه غير معقول، أن لا يكون في ذلك التاريخ القديم أدباء، وشعراء، باللغة التي يتحدثون بها، خصوصا وقد عرفنا من خلال اتصالاتنا ببعض إخواننا الأمازيغيين، أن لديهم محفوظات شعرية بلغتهم، أطربنا الانصات إليها، وإن كانت حديثة العهد، ولكن لا بد أن تكون هناك أشعار، وأدبيات، متوارثة، لا ندري عنها شيئا، ولربما برز، أو سيرزباحثون جادون، يزودون خزانتنا المغربية، بأدبيات، وأشعار أجدادهم الأولين.

#### الأبحاث البربرية المخطوطة

في الدراسة التي كتبها الطالبان : محمد الشرقاوي، وأحمد كرماط، لنيل الإجازة في اللغة العربية، تحت إشراف الأستاذ علال الغازي، قالوا : إن الأستاذ الفاسي أطلعهما على مخطوطات، حول الأبحاث البربرية المخطوطة.

ولقد جاء فيما كتبه حول الموضوع : التعريف ببعض القبائل، والأغاني البربرية، والأمثال، والأشعار السوسية، وأسماء بعض القبائل، والحيوانات، باللغة البربرية النخ.

ونظرا لتعذر الاطلاع على هذه المخطوطات رغم فوائدها، فلقد رأيت أن آتي ببعض المعلومات المستقاة منها، شاكرا للباحثين ما أفادانا به :

آيت امالو : وهي جزء من قبيلة آيت أم البخت، أخبارها ومشاكلها.

آيت إسحاق وآيت سخمان : حدودهما، ومناطقهما الطبيعية، من جبال، وأنهار، وسهول، والزوايا الموجودة فيها، مع ذكر أفخاذها التي حصرها في خمس.

آيت محاند : وهي عبارة عن قبائل كبيرة وكثيرة، ومنها قبيلة آيت بوبكر، وآيت حمى، ولقد أعطى الكاتب وصفا شاملا لهذه القبائل، وخاصة مناظرها الطبيعية، مثل جبل بوحزام، وجبل أسني، ثم تحدث عن قبيلة آيت إسماعيل، وآيت يعقوب، وعن الطرق الرابطة بين هذه القبائل.

آيت سرى، وآيت ويرا : وهي عبارة عن مجموعة من القبائل الجبلية، المطلة على بسائط تادلة، وتتكون من أربعة قبائل، هي : آيت ورا، آيت إسحاق، آيت عبد اللولى<sup>(6)</sup>، وآيت سعيد، وفي حديثه عن آيت ويرا، أعطى معلومات عن الألعاب التي كان يقوم بها أطفالها، وعن الفخذات التي تتركب منها، والحدود التي تحدها.

---

(6) لعلها عبد المولى.

آيت وافلا : قبيلة صغيرة، داخلية في اتحاد قبائل آيت يافلمان، ويقال إن لها عادات، وتقاليد، لا تمت إلى الأخلاق بصلة.

آيت عياش : وهي قبيلة مشهورة رغم صغرها، وتقع بناحية جبل العياشي، ولها تقاليد، وعادات، مثل بقية القبائل.

الأمثال السوسية : يقول الباحثان المشار إليهما من قبل : لقد وضع الفاسي هذه الأمثال في أربعة كنايش، وقسمها إلى ستة أجزاء، ومجموع الأمثال الواردة في هذا المخطوط : ألف وثمانية وخمسون مثلاً (1058).

#### **الأحاجي السوسية، وما يجري مجرى الأناز**

يورد الحجاية باللغة السوسية، ويترجمها للغة العربية، مع إعطاء الحلول لهذه الحجايات.

الأشعار السوسية : أورد الأستاذ في هذا الكناش، بخط يده، ستة وسبعين مقطوعة شعرية، بلغة أهل سوس، وترجمها إلى اللغة العربية .

الأغاني البربرية : يقول الباحث : يطلق على هذه الأغاني «ازلان» أو «المات» وهي مجموعة من الأغاني التي كان يستعملها البربر في أفراحهم، أو عند قيامهم بالتنزه.



الإفادات والإنشادات : لقد تحدثت عنها ببعض التفصيل، في الصحف السابقة، وأزيد هنا ما أتى به الباحثان، بأن الفاسي، جمع أثناء وجوده بمنفى اغبالون كردوس، ثمانية وثلاثين إفادة وإنشادة، وأطلق عليها الكر دوسية<sup>(7)</sup>.

بني يزناسن : كلنا نعرف بعض الأدوار التاريخية في المقاومة، التي قامت بها قبائل بني يزناسن، ولكن الأستاذ زادنا معرفة بهذه القبيلة، وما يوجد بها من جبال، وأنهار، وسهول، وزوايا، وفي طليعتها زاوية سيدي المختار القادرية البوتشيشية، التي لها فروع، وأتباع، ومريدون في كثير من أنحاء المغرب، بل في كثير من البلدان الأجنبية، ولقد تحدث الأستاذ أيضا، عن تاريخ بني يزناسن، منذ عهود مولاي سليمان، إلى العصور الحديثة.

آيت عطا وأحوالها الاجتماعية : من القبائل المشهورة بالبطولة والمقاومة، قبائل آيت عطا، ولقد أعطاهما الفاسي، كثيرا من الاهتمام في المخطوط المتحدث عن أحوال هذه القبائل الاجتماعية، وتحدث عن جد هذه القبائل المسمى (داداعطا)، ثم تطرق إلى بعض المناطق الطبيعية، مثل جبل (صاغرو) وأعطى معلومات، عن الألعاب التي كان يتعاطى لها سكان تلك المناطق،

---

(7) انظر الملحقات، ففيها كثير من الإفادات والإنشادات.

والمواسم التي كانوا يحتفلون بها، مثل موسم (سيدي محمد افروتن)، كما أورد بعض الكلمات بلهجة آيت عطا، وترجمها إلى اللغة العربية، ثم ختم عمله بشجرة آيت عطا.

منتخبات شعرية بتامزيغت : اهتم الأستاذ الفاسي بالشعر الأمازيغي، واختار بعض الأشعار الأمازيغية، التي لها دلالة، وجمعها - كما قال الباحثان المذكوران - في مخطوطه، وأعطى لها مقابلا باللغة العربية.

قواعد النحو البربري : ومن اهتمامات الفاسي باللغة الأمازيغية، وضعه لتعاريف، وتمارين نحوية، ولهجة تامزيغت، وشرحها باللغة العربية، ووضع دروسا لتطبيق هذه التعاريف، مع تمارين، وشرح للمفردات، كما جمع نصوصا بلهجة آيت مكيلد، وشرحها بالعربية، كما جمع نصوصا بلهجة آيت أم البخت.

حول قبيلة آيت مكيلد، لقد أعطى لقبيلة آيت مكيلد أهمية خاصة، فتحدث عن القبائل التابعة لها، وخصوصا آيت باسو، كما تحدث عن المناطق الطبيعية، والطرق الصوفية، وألعاب الأطفال، والعوائد والاعتقادات، وأتى في مخطوطه بنصوص من اللغة المكلدية.

قاموس بربري عربي، جمع كثيرا من المفردات البربرية، وشرحها بالعربية، كما سجل أسماء بعض

النباتات باللغة البربرية، وترجمها بالعربية، والفرنسية، مع الإسم العلمي، باللغة اللاتينية، وما فعله بالنباتات، فعله أيضا بالحيوانات، التي سجل أسماءها بالبربرية والعربية.

ملاحظة أخيرة، إن كل ما ذكرته حول البربرية وقبائلها، وما يتبع ذلك كله، منقول بتصريف من دراسة الطالبين اللذين ذكرتهما قبلا، واللذين اطلعنا حسب ما ذكرا، على مخطوطات الأستاذ الفاسي رحمه الله في حياته.

#### **نشاطات الفاسي الفكرية واهتماماته الثقافية**

نشاطات الفاسي متعددة، ويغلب عليها الجانب الفكري، والبحث الثقافي، المتعدد الأشكال والألوان، فهو يبحث في تاريخ الأدب، ويترجم لبعض الأدباء، والشعراء، والمؤرخين، والرحالة المغاربة المتعددين، وينشر أبحاثه وكتابه في بعض الجرائد والمجلات، وهو يلبي دعوات بعض الجمعيات الثقافية، للإلقاء بعض المحاضرات، وهو يسافر إلى بعض الأقطار الأجنبية، أروبية وشرقية، للمشاركة في بعض اللقاءات، ثم ها هو يلقي الدروس الأدبية والتاريخية، في بعض المدارس الثانوية، والمعاهد العلمية، والكليات الجامعية، وها هو مع ذلك يعين مديرا لجامعة القرويين، ليدخل عليها بعض التنظيمات العصرية، التي كانت مفتقرة إليها.

## تأليفات للفاسي

وللفاسي عدة تأليف، لم يطبع منها إلا اليسير، ومن جملة كتابه عن : (التعريف بالمغرب) وعن (الوزير بن عثمان)، وعن شاعر الخلافة الموحدية : أبو العباس الجراري و(فلاسفة الإسلام في الغرب الإسلامي و(وحي البينة) وبحثه القيم (حول السلفية) و(رباعيات نساء فاس) وترجمته هو والأستاذ أحمد بلافريج (لكتاب أزهار البساتين، في أخبار الأندلس والمغرب).

## تحقيقاته

ومن تحقيقاته لبعض الكتب : تحقيقه رحلة العبدري، والرحلة الإيريكية، إلى الديار الأنجلزية، وكتاب (المعجب) للمراكشي، الذي شارك في طبعه طبعة جديدة ، وكتاب (أنس الفقير، وعز الحقير) لابن قنقد.

ومن جملة الاهتمامات التي كان يهتم بها، ما كتبه عن الموسيقى المغربية، وتنظيمه لبعض المعاهد الموسيقية، وإقامة حفلات موسيقية لآلة، أي الموسيقى المغربية الأندلسية، وكذلك الموسيقى الغربية.

واهتم بالمرح، وبالفنون المسرحية، والفنون الشعبية، كما اهتم بالرسم وكان يرسم بنفسه بعض لوحات، نظم بها عدة معارض، وعرض فيها عشرات اللوحات من وضع يده.

## تصحيح الأوضاع

والفاسي غيور غير شديدة على اللغة العربية، فهو لا يقبل اللحن في الكتابة، ولا في الخطابة، ويستاء الاستياء الكبير، إذا سمع خطيباً يخطب، أو محاضراً يحاضر، ولا يلتفت لأخطائه النحوية، أو اللغوية، ولقد صار يتابع بالتسجيل والتصحيح الأخطاء التي وقع فيها بعض الكتاب، فنشر عدة مقالات في مجلة (الرسالة) التي كنت أصدرها، تحت عنوان (تصحيح الأوضاع).

كان الفاسي حركة ثقافية متنوعة دائمة، فلقد اهتم بالمخطوطات والوثائق، وعمل على جمعها لما كان وزيراً للثقافة، أنشأ جائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق، واهتم بجمع الطوابع البريدية، فجمع منها نحو الألفين، ولسنا ندري مصيرها. كما اهتم بالأمثال المغربية، فجمع نحو خمسة آلاف مثل، كما اهتم بالرحلات. فجمع الكثير منها، وحقق البعض منها، وكان كثير السفر إلى الأقطار المختلفة، فزار فرنسا، وأمريكا، والهند وباكستان، وإيران، والاتحاد السوفياتي، والأوزبكستان (بلاد خوارزم) وما وراء النهر، وزار كندا، وتركيا، والعراق، وجنيف، وفيينا، وبروكسيل، وبوينو سيريس، والشيلي، والبارغواي، ومالي، والبرازيل وفينزويلا وكولومبيا، وأبيدجان وغينيا، وبوادابيست، والخرطوم، ودكار وغانا، ولومي بالطوغو، والداهومي.

كان الفاسي محبا للأسفار، ففي صيف سنة 1968 قام برحلة حول العالم، وذلك بمناسبة اجتماع المجلس الإداري، للجمعية الدولية للجامعات بسيدني، فسافر من الرباط إلى باريس، ثم بيروت، وطهران، فكابول، فإسلام أباد، فكالكتا، فرانكون فنوع بنه، فسنگافورة، فكوالاكامبور، فجاكارتا، فسيدني، فجزر المحيط الهادي، فالوس أنجلس، فنيويورك، أصلاندا، فباريس، فالرباط ودامت رحلته هذه شهرا كاملا. وقيل لي أنه كان يحتفظ ببطاقات وتذاكر سفره، وهي تشهد على تعداد وتنوع سفرياته، وتعرفه على البلدان والرجال.

هذا التعرف على الرجال والأقطار، جعله يقبل في عضوية كثير من الجامعات والجامعات، فانتخب عضوا في المجلس التنفيذي لليونيسكو، ورئيسا لمكتب التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونيسكو، وعضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، عام 1958 وعضوا في المجمع العلمي العراقي عام 1960، وانتخب خليفة للرئيس، في جمعية الجامعات التي تدرس باللغة الفرنسية، كلا أو جزءا بمنوريال بكندا، وانتخب رئيسا لجمعية الجامعات الإسلامية التي تكونت بمدينة فاس، وزار العدد العديد من الجامعات الأمريكية، واستلم شهادة الدكتوراة الفخرية من جامعة جبورت (كيبك) وحاز الدكتوراة الفخرية من جامعة لاغوس، بنيجيريا، والدكتوراة الفخرية من جامعة جاكارتا، وتولى رئاسة جمعية الصداقة المغربية السوفيتية.

في موسكو : وفي الصورة :  
محمد الفاسي وبجانبه الأيمن : الحاج أحمد بركاش وأبو بكر القادري  
وبجانبه الأيسر : الرئيس بابا خانوف رئيس الجماعة الإسلامية في  
موسكو، عبد الرحمان بن الشيخ، بوشعيب الدكالي ومحمد بن عبد الله

ومما يسجل له، أنه تولى رئاسة وفد علماء القرويين سنة 1944، الذي تقابل مع محمد الخامس ليتضامن مع وثيقة المطالبة بالاستقلال، وكان الوفد، يتألف من العلماء الكبار : الحسن مزور - العربي الحريشي - محمد بن عبد الرحمان العراقي - مولاي أحمد الشبيهي - الحاج أحمد بنشقرون، الحاج عبد الكريم الداودي، ولقد خاطبهم جلالة محمد الخامس، بعدما تقدموا إليه بعريضتهم قائلاً : «يسرني أن أرى رجال التعليم بالقرويين، يعيشون أحداث البلاد، ويدلون فيها بأرائهم ويفتاواهم، ونحن عشنا في بلادنا أحرارا، ولا بد أن يعيد التاريخ نفسه).

### ربط العلاقات الثقافية مع البلدان العربية

لدى توليه وزارة التربية الوطنية، صار يعمل على ربط العلاقات الثقافية والعلمية مع البلاد العربية، وفي طليعتها مصر، فلقد اطلعت على مشروع وضعته وزارته لربط العلاقات الثقافية مع مصر، أثبت هنا بعض فقراته، يقول للمشروع :

(1) تقوم وزارة التربية والتعليم، بجمهورية مصر، بإنشاء مدرسة ثانوية نموذجية، بمدينة الرباط، بتسيير الدراسة فيها، وفق المناهج المصرية، وتقوم الحكومة المصرية بجميع شؤونها الإدارية والتعليمية، وتنشئ وزارة التربية والتعليم المصرية، مركزا ثقافيا، ملحقا بهذه



المدرسة، مجهزاً بكل ما يلزم للمراكز الثقافية من كتب، وقاعات للمطالعة، والمحاضرات العامة، والعروض السينمائية، وما إلى ذلك.

(2) تيسيراً لإقامة هذه المدرسة، تقدم الحكومة المغربية، قطعة أرض، في مكان متوسط بمدينة الرباط، على اتساع كاف لأبنية المدرسة ومرافقها، وملاعبها الرياضية، ومساكن أعضاء هيئة التدريس.

(3) تقدم الحكومة المصرية قطعة أرض مناسبة، في موضوع متوسط بمدينة القاهرة، لتقيم الحكومة المغربية عليها داراً لطلبة المغرب، الذين يدرسون في القاهرة.

(4) تقوم وزارة التربية والتعليم المصرية، بإيفاد بعثة تعليمية، مكونة من مدرسين ومدرسات، يقومون بالتعليم في المدرسة الثانوية النموذجية، وفي المدارس والمعاهد المغربية.

(5) تخصص الحكومة المصرية، عدداً من المنح الدراسية لطلاب المملكة المغربية، الراغبين في إتمام دراستهم في الجامعات والمعاهد المصرية العليا.

(6) يشجع الطرفان تبادل البعثات الرياضية، وإقامة المباريات بين فرق البلدين، وكذلك تبادل الزيارات، بين وفود الطلاب والشباب.

(7) يتبادل الطرفان المتعاقدان، وفودا من رجال التربية والتعليم والفنون، والآداب، والصحافة، والإذاعة، والموظفين الإداريين.

(8) تؤلف لجنة من العلماء المصريين والمغربيين المتخصصين في فروع الدراسات الإسلامية، لدراسة المخطوطات، ونشرها لدراسة مجموعات المخطوطات المحفوظة في خزائن الكتب.

(وحرر هذا المشروع بتاريخ 19 مايو سنة 1956).

لقد حرر هذا المشروع الثقافي، أوائل استقلال المغرب، ومنه يستشف التوجه الذي كانت الحركة الوطنية تهتم به، لربط العلاقات الثقافية مع البلدان العربية، وفي طليعتها مصر، التي سبقتنا أشواطاً في مجالات المعرفة المتنوعة.

لقد كان المغرب حريصاً كل الحرص، على أن لا يكون التوجه الثقافي مسجوناً في الثقافة الفرنسية، بل كان التوجه المقصود، هو توجيه ثقافي مغربي، عربي، إسلامي، يستفيد من الثقافة الأجنبية، فرنسية، وغير فرنسية، ولكن لا تكون له تبعية ثقافية أجنبية، فرنسية وغير فرنسية، ومن هنا كان العمل في وزارة التربية الوطنية على القضاء على التبعية الفرنسية، وفتح المجال أمام التعدد الثقافي، ومن جملة الاستفادة من معرفة مصر، وثقافتها، والاستفادة من رجالها المثقفين، وجامعاتها المختلفة، وإيفاد بعثات

طالبة مغربية إلى مصر، مثل البعثات التي وجهناها لفرنسا، ابتداء من أواخر الأربعينيات.

والشيء الذي أسجله بهذه المناسبة أن الأيدي الخفية الأجنبية، التي لم تكن تريد أن يتوجه المغرب توجيها ثقافيا مغربا عربيا، كانت تضع العراقيل في طريق التعريب، وتحارب سرا وجهرا الخطوات التي خطاها المغرب في السنتين الأوليين بعد الاستقلال، وهكذا صار التراجع عن التعريب، يقع سنة بعد الأخرى، بدعوى أن التعريب ليس من شأنه أن يلحق المغرب، وأبناء المغرب بالثقافة الإنسانية العلمية، ومن جهة أخرى وقعت نكسة سياسية خطيرة، عندما صارت بعض السلطات العربية، ومخابراتها، تتدخل في بعض القضايا والشؤون المغربية، الأمر الذي جعل المغرب يرفض التدخلات الأجنبية المصرية، في شؤونه الداخلية، فكانت النتيجة أن أقفلت المدرسة المصرية التي كانت أنشئت في الرباط، واستغنى عن الأساتذة الذين كانوا يؤدون واجبهم بالمدارس المغربية، ومنذ ذلك الوقت والمغرب يتخبط في قضايا التعليم، وتعددت الاتجاهات، بتعاقب الوزراء المكلفين بشؤون التربية والتعليم، ولازالت وزارة التعليم لحد كتابة هذه الأسطر، تسير على غير هدى، ولله الأمر من قبل ومن بعد. ورحم الله أخانا الأستاذ محمد الفاسي الذي أعطى الكثير لبلاده، وقوميته، وأنسيته المغربية العربية الإسلامية.

### تعيينه مديرا للقرويين

في سنة 1942، عينه صاحب الجلالة محمد الخامس رحمه الله، مديرا لجامعة القرويين، ليكون بجانب رئيسها العلمي، الذي كان يعتبر من علمائها الأعلام، المشار إليهم بالبنان، لإدخال بعض التحسينات العصرية على دروسها، وتنويع مناهجها الدراسية، حتى لا تبقى مقتصرة على المواد الفقهية والنحوية، وما شاكل ذلك من المواد التي كانت تدرس فيها.

وكان مقصود جلالته من ذلك، تطوير الجامعة، لتلتحق بالجامعات العالمية، التي تنوعت مناهجها وعطاءاتها، وكان الفرنسيون دائما عرقلة في طريق تطوير القرويين، رغم المطالبة بذلك من أواخر العشرينيات، وأوائل الثلاثينيات، وهكذا تعبيرا من جلالته على اهتمامه الزائد بهذه الجامعة، عين الأستاذ الفاسي، مديرا تقنيا لها، باعتباره متخرجا من جامعة فرنسية، وعارفا بما تحتاجه هذه الجامعة القروية من إصلاحات، سواء في تنوع المناهج والعلوم، أو في طرق التدريس والإلقاء، ولكي يعبر جلالته عن تأكيد اهتمامه، أبقى إلا أن يأتي بنفسه إلى فاس، لينصب الأستاذ محمد الفاسي، رغم عدم رضى السلطات الفرنسية على هذا التعيين.

لقد كان تعيين الأستاذ الفاسي مديرا للقرويين، مفيدا لنا في الحركة الوطنية، فبالإضافة إلى مهامه

الإصلاحية التطويرية، كان هذا التعيين وسيلة لتوثيق ربط الاتصال مع محمد الخامس، حيث كان يسهل عليه الاتصال به متى شاء، باعتبار أنه هو الرئيس الأعلى لجامعة القرويين، ولابد من مشاورته في الشاذة والفاذة، من الإصلاحات قبل تطبيقها.

وهنا لابد أن أشير إلى أن الفاسي، كان في مرحلة من المراحل، هو الرسول المؤتمن بيننا نحن رجال الطائفة، وهي الجناح السري في الحزب الوطني، وبين محمد الخامس رحمه الله، يبلغه بعض مقترحاتنا، ويبلغنا بعض توجيهاته واقتراحاته.

ابتدأ هذا الاتصال المحكم مع محمد الخامس، ابتداء من سنة 1942، وتوقف شيئاً ما بعد المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، ثم استؤنف الاتصال بعد خروجنا من السجن في سنة 1945.

لقد كان محمد الفاسي، من جملة الذين اعتقلوا سنة 1944، ولذلك فإن الإصلاحات التي شرع في القيام بها في القرويين توقفت، وبمجرد سراحه، عاد لإتمام ما بدأه، فأدخل عدة إصلاحات منهجية على برامج التعليم، واهتم بالحالة المادية لعلماء القرويين، فصارت مرتباتهم تؤخذ من الميزانية العامة للدولة، لا من ميزانية وزارة الأحباس، كما كانت من قبل، وارتفعت مرتباتهم

الشهرية، فصارت مماثلة لمرتبات وزارة التعليم العمومي، وعمل على تصنيف العلماء إلى طبقات، مثل ما هو موجود في الكليات العصرية، فهناك رجال الطبقات الأولى، ثم الذين يلونهم وهكذا، وفي مجال الدروس أدخلت مواد علمية أخرى في المناهج الدراسية، كالجغرافية والرياضيات وبعض العلوم الأدبية، التي لم تكن تدرس كمادة الإنشاء، وهلم جرا، ووقع تقسيم العلماء حسب تخصصاتهم، فبعضهم تخصص في مادة الفقه، وآخرون في النحو وهكذا.

ومن الإصلاحات التي أدخل الفاسي على القرويين، إشرافه على إنشاء معهد خاص للبنات، تخرج منه عالمات مقتدرات، تابعت لجامعة القرويين، الأمر الذي لم يكن من قبل، ولم تقف تلك الإصلاحات، إلا بعد اشتداد الأزمة بين الحزب الوطني، والملك محمد الخامس من جهة، وبين السلطات الفرنسية من جهة أخرى، أوائل الخمسينيات، حيث عزل الفاسي من مهمته في القرويين، ونقل إلى الرباط، إلى أن وقع نفيه بعد ذلك.

#### **تعيين الفاسي وزيرا للتربية الوطنية**

بعد رجوع محمد الخامس من المنفى، وتأسيس أول حكومة برئاسة مبارك البكاي، تولّى وزارة التعليم محمد الفاسي، وكانت تسمى (وزارة التربية الوطنية والفنون

الجميلة والشبيبة والرياضة) ويلاحظ أنها سميت بوزارة التربية الوطنية، ولم تسمّ بوزارة التعليم، نظراً لأن اهتمامنا نحن الوطنيين، كان منصبا أساسا على التربية ككل، لا على التعليم وحده، باعتبار أن التعليم جزء أساسي من التربية.

لقد كان من أول ما قام به الفاسي، عندما عُهد إليه بتسيير وزارة التربية الوطنية، تكوين لجنة لوضع الأسس التي ينبغي أن يسير عليه التعليم، وكان من جملة أعضائها الفقيه محمد غازي، والمهدي ابن بركة، وأبو بكر القادري، وبعد المذاكرات والمناقشات، وقع الاتفاق على الثوابت الأربع، التي ينبغي أن يركز عليه التعليم، وهي (1) التعميم، (2) والتعريب، (3) والتوحيد، (4) وتكوين الأطر.

ثم وضع الفاسي مشروع سنتين لإصلاح التعليم في أقسامه الثلاثة : (1) الابتدائي و(2) الثانوي و(3) العالي، كما اهتم الاهتمام الكبير بالتعليم الأصيل، الذي كان يسميه إذ ذاك بالتعليم الأصلي.

وفي هذا الموضوع، لم ينس الفاسي المهمة التي أناطها به محمد الخامس، عندما عينه مديرا لجامعة القرويين في عهد الحماية، فاعتنى (بالقرويين)، وشجع على تكوين معاهد تابعة لها، كمعهد مكناس، ومراكش، وتطوان، وطنجة، والقصر الكبير، ثم معهد الحسيمة،

والعرائش، والناظور، والشاون، وكوّن مصلحة خاصة بالتعليم الأصيل وكان يطلق عليها (مصلحة التعليم الإسلامي) كما أعطى تعاليمه لتأسيس مدرسة ثانوية بفاس، تكون رافداً، ومزوداً للقرويين، التي ينبغي أن تصبح جامعة كاملة التكوين، خصوصاً وأنها تعتبر أول جامعة يرجع تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي.

لقد وقع الاهتمام بالتعليم العصري، ونشره، بتأسيس المدارس الابتدائية في مختلف أنحاء المغرب، ولكن مع ضرورة المحافظة على تعليمنا الأصيل، بعد إدخال الإصلاحات الضرورية عليه، ليساير التطورات العلمية في العالم.

ويجب أن أسجل هنا، أن الاهتمام بقضية التعليم، وتعميمه، أخذ الاهتمام الكبير من الطبقات الشعبية، نظراً للدعاية التي قامت بها حركتنا الوطنية، والوطنيون الأوفياء، للدعاية لتعميم التعليم، فصارت فروعنا الحزبية، تتبارى في تهيئ المدارس وبنائها في كثير من الجهات النائية والقريبة، كمدينة ورزازات الصحراوية، التي تجندت لتهيئ الأماكن الصالحة للتعليم الابتدائي، وصارت تطالب الوزارة بتعيين المعلمين لها، الأمر الذي جعل الوزارة عاجزة عن إمداد المدارس، بما هي في حاجة إليه من معلمين، وجعلها تعمل على ما سمته بالتكوين السريع، والذي صار بسببه، يلتحق بأطر التعليم، حتى



بعض ضعاف التكوين، الذين أصبحوا حجة ضد الوزارة التي عينتهم كمعلمين مؤقتين.

وفي مجال توحيد التعليم، أسجل أنه ربما وقعت أخطاء، كان مردودها ضد ما كان يهدف إليه التوحيد.

لقد كان التعليم في العهد الاستعماري، يضع برامج تهدف إلى نسيان الذاكرة الوطنية، باغفال الاهتمام بالحضارة المغربية، وأصولها الحضارية، من قيم أخلاقية، وحقائق دينية، ولغة عربية موحدة، وتاريخ حافل بالأجداد، كما كان يهدف إلى تخريج فئات متطاحنة في تفكيرها وتكوينها، وهكذا كانت في المغرب مدارس رسمية تهتم أولاً وقبل كل شيء باللغة الفرنسية، على حساب اللغة العربية، ومدارس سموها بالمدارس البربرية (كمدرسة آزرو) يجب أن تبقى بعيدة كل البعد عن اللغة العربية، بالإضافة إلى الكتاتيب القرآنية، وبعض المدارس الحرة القليلة، التي لم تكن تتوفر على الإمكانيات الكافية للتطوير. ويضاف إلى ذلك مدارس اليهود التي كانت تلقى اهتماماً من طرف الاتحاد الإسرائيلي، ويضاف إلى ذلك مدارس الشمال التي كانت تعتمد اللغة الإسبانية كلغة أولى مع العربية، وفتح مدارس أجنبية تسمى بمدارس البعثات، وتطبق فيها أنظمة المدارس الفرنسية المحضة.

هذا الخليط من برامج التعليم، هو الذي جعل الحركة الوطنية، ووزارة التعليم في أول نشأتها، تقرر ضرورة

وحدة التعليم، حتى لا يبقى مشتت الأشكال والألوان،  
ويصبح المتخرجون، مختلفي التكوين والتوجهات، متباينة  
آراؤهم في التفكير، وطرق التكوين.

ولكن الذي وقع مع كل أسف، أن ما كنا نهدف  
إليه، لم يتحقق، نظرا للعراقيل التي وقعت في الطريق،  
وللارتجال الذي أتخذت به القرارات، فلم تمض إلا  
سنوات قليلة، حتى صار التعليم يتراجع إلى الوراء،  
بسبب الدسائس التي وقعت، حتى من داخل الوزارة  
المختصة، لاعتمادها على بعض الفنيين الأجانب، وبعض  
المقتنعين بضرورة مراجعة المبادئ والثوابت التي كنا نرى  
ضرورة الالتزام بها، ومنها تعريب التعليم، تعريبا حقيقيا  
في أقسامه الأربعة، مع ضرورة الاهتمام باللغات الأجنبية  
الحية، سواء منها الفرنسية، أو الإنجليزية، أو غيرها،  
ويظهر أننا أخطأنا في الاستغناء عن اللغة الإسبانية في  
المنطقة الشمالية، وإبدالها بالفرنسية كلغة أولى، ولو  
احتفظنا بها، لما بقينا مسجونين في التعليم الفرنسي  
وحده، الذي لازلنا نعاني من محنه، لحد كتابة هذه  
السطور، حيث أصبح تعليم أبنائنا يركز على اللغة  
الفرنسية وحدها، بل زاد الأمر ضعفا، حيث أصبح تعليم  
الفرنسية نفسه في المدارس التابعة للوزارة ضعيفا.

لقد أصبح التعليم في عهد الاستقلال مفرنسا أكثر  
مما كان يتوقع، وأصبح التعليم مهلهلا وضعيفا، نظرا

لأسباب متعددة، أذكر منها، ضعف الأطر التعليمية، وعدم تكوينها التكوين الصحيح، فانحط مردودها، وصار الكثيرون من الآباء، وبيالأخص المثقفين، يلحقون أبناءهم بمدارس البعثة الفرنسية، بدعوى كفاءة رجال التعليم بها، وتفوقهم على الأطر التعليمية بالمدارس الرسمية المغربية، وحتى المدارس الحرة التي صارت تنشأ في عهد الاستقلال، صارت تتبع في منهجها المدارس الفرنسية، فضعف فيها التوجيه الديني والأخلاقي والمغربي، وتغلب التوجيه الفرنسي على غيره، رغم ما يقال، وصرنا نرى أبناءنا مع الأسف الشديد، يتخاطبون مع بعضهم بعضا باللغة الفرنسية، وكأنها هي لغتهم الوطنية، حتى داخل منازلهم، الأمر الذي لم يكن حتى في عهد الاستعمار.

لقد اهتم الأستاذ الفاسي وهو وزير للتعليم، بقضية التكوين في حدود إمكانياته، وكان همه أن يوجد المدرسة المغربية الأصيلة، المتطورة، الموحدة، المحافظة، على لغتها العربية، كلغة أولى دون منازع، وصار يستعين ببعض الأطر التعليمية الواردة من الشرق العربي كمصر وغيرها، ففي سنة 1957 كنت قمت بزيارة للبلاد المقدسة لأداء فريضة الحج، أعقبتها بزيارة لبعض الأقطار العربية، فرغب إليّ الأستاذ محمد الفاسي أن أتصل ببعض المسؤولين في مصر، والعراق، وسوريا، ولبنان، لتزويد

المغرب ببعض رجال التعليم الأكفاء، سواء في التعليم الثانوي أو العالي، وأعطاني توكيلا للقيام بهذه المهمة، وأسجل أن اتصالاتي مع المسؤولين في البلدان العربية التي زرتها، كانت مثمرة وناجحة، فزودوا مدارسنا ببعض الأطر الكفأة، سواء في التعليم الثانوي، أو العالي، ولولا ظروف سياسية، بسبب تشويش من جيراننا، وتدخل في شؤونا الداخلية من طرف بعض رجال الثورة المصرية، لصارت الأمور سيرها الطبيعي، ولحققنا ما كنا نطمح إليه، من وحدة ثقافية حقيقية، مع إخواننا في ذلك الجناح من بلاد العروبة والإسلام، ولكن الرياح سارت بما لا تشتهي السفن، والأمر لله في الأول والأخير.

اهتم الفاسي، بقضية تكوين المعلمين والأساتذة، وسعى لإحداث حركة ثقافية، تدرّب على البحث، وتغيير أساليب التعليم، ووضع الأسس الأولى لتكوين خزانة علمية، في بعض المعاهد والكليات، وعالج مشاكل المنح، وسكنى الطلبة، ومطاعم الكليات، والثانويات.

### **قضية التعريب واتهام الفاسي بالفضل**

كل من عرف الفاسي، معرفة حقيقية، يدرك غيرته الكبيرة على اللغة العربية، واهتمامه بالدفاع عنها، وحرصه على نشرها، وتصحيح أوضاعها، وتجلي هذا داخل المغرب، وخارجه، حيث كان يعتبر اللغة العربية المقوم

الأساسي في كيان الأمة، لقد عرّب التعليم في المدارس، وسعى لتعميم العربية في الإدارات، واهتم بدروس اللغة العربية وصلاحتها، ومقدورها لمسايرة العصر، وضرورة إعطاء الدروس العلمية، في الفيزياء والكيمياء باللسان العربي، ولقد زارني عدة مرات بمدرسة النهضة التي كنت أديرها في مناسبات متعددة، فكان يباهى بالدروس التي يلقيها الأساتذة في المواد العلمية، باللغة العربية، ولدى وجوده في بعض المؤتمرات في الخارج، سواء في أوروبا أو غيرها، كان يدافع عن اللغة العربية، ويحاجُّ بها، وفي مؤتمر اليونسكو، دافع عن اللغة العربية، باعتبارها لغة حية أساسية، بجانب اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

هذا الحماس للغة العربية، والدفاع عن التعريب، جعل الكثيرين من المتخرجين من المدارس الفرنسية، بمن فيهم بعض أصدقائه، يهاجمونه في السر والعلن، ويعتبرون أن التعليم انحط عندما صارت العلوم تلقى بالعربية، وعندما لم تبق اللغة الفرنسية داخلية في برنامج السنوات الأولى من الابتدائي، الأمر الذي أدى ببعض إخوانه من أعضاء حزبنا، أن يوثروا على محمد الخامس، ويطلبوا منه تغيير الفاسي، بأخ آخر من الحزب، ليشرّف على وزارة التعليم عوضاً عنه، وأذكر بهذه المناسبة أن الفاسي رحمه الله انفعّل كل الانفعال، لما بلغه خبر إعفائه من وزارة التعليم، وإسناد هذه المهمة لأخينا المرحوم

الحاج عمر بن عبد الجليل، وكان ما كان من نكسات، ابتداءً التعليم فيها منذ ذلك الوقت، فلقد وقع التراجع عن التعريب، وكان بعض الإخوة، متحمسين لهذا التراجع، وكنت شخصياً ضد المتراجعين، وضد إدخال الفرنسية من جديد، في السنوات الأولى من الابتدائي، لأسباب ودواعي متعددة قد يأتي الإبان لتعدادها.

#### **قضية التعليم والتعريب شغلت الفكر العام المغربي**

رغم مضي أزيد من أربعين سنة على استقلال المغرب، فلا زال التعليم عندنا لم يأخذ طريقه المثلى، وإذا كان الكثير من المثقفين ثقافة فرنسية، أو مزدوجة، يرجعون مشاكل التعليم إلى السنوات الأولى من الاستقلال، حيث يقولون إن البداية كانت بداية خاطئة، خصوصاً في مجال التعريب، فإن الدراسة النقدية الموضوعية، لا تقبل ذلك، حيث إن هذه المرحلة التعريبية ابتدأت متواضعة سنة 1955 أي بعد رجوع محمد الخامس مباشرة من منفاه؛ ولكنها انتهت سنة 1957 عندما أعفي تلافاسي من وزارة التربية الوطنية، ليحل محله الحاج عمر بن عبد الجليل، ثم تعاقب بعد ذلك عدة وزراء، كان من بينهم من ليس له أدنى إلمام بمشاكل التعليم.

لقد تولى وزارة التعليم بعد الحاج عمر بن عبد الجليل، الأستاذ عبد الكريم بن جلون، ثم جاء بعده

الدكتور يوسف بن العباس، ثم جاء بعده الدكتور محمد بن هيممة، ثم مامون الطاهري، ثم آخرون، إلى الدكتور عز الدين العراقي، والذين أتوا بعده إلى يومنا هذا.

والظاهرة التي ينبغي أن تسجل، أن كل واحد من الوزراء المذكورين، كان له تصور خاص في قضية إصلاح التعليم، سواء في التعريب، أو غيره، وباستثناء الدكتور عز الدين العراقي الذي أعطى حسب ما كنت أتبعه من نشاطاته، والتي كانت نشاطات جادة وثمررة، رغم ما لاقته من اعتراضات وملاحظات، فيها المقبول، وفيها المردود، ولكنها مع ذلك أعطت الكثير، سواء في مجال التعريب، وتعداد الجامعات والكليات، أو غير ذلك. ولكن الذي وقع، أن إصلاح التعليم وتعريبه في عهد عز الدين العراقي لم يتم في التعليم العالي وهكذا وقعت الفجوة بين الثانوي والعالي.

لقد كانت بجانب الوزارة لجنة أسست في عهد محمد الخامس، وتسمى لجنة إصلاح التعليم، كانت تعقد جلسات للمناقشة والمذاكرة في مشاكل التعليم، سواء منه الابتدائي، أو غيره، وكانت بجانب هذه اللجنة، تعقد ندوات موسعة، يشارك فيها الأساتذة، والنقابيون، والمسؤولون في الوزارة، وتدوم الجلسات اليومين والثلاثة، تتدارس المشاكل التي يتخبط فيها التعليم، وتتخذ فيها قرارات نهائية، تكون أحيانا محط إجماع.

ولكن المشكل العويص الذي حدث، هو أن القرارات التي تستخلص من تلك الاجتماعات، بقيت حبرا على ورق، لأن الذين يعينهم الأمر من أعلى، ربما لم يوافقوا على تلك القرارات، أو المقترحات، وهكذا بقيت دار لقمان على حالها، تابعة أو مقلدة للتعليم الفرنسي. ولكن في جانبه الضعيف.

فالقضية ليست قضية تعريب التعليم. كما يريد أن يدعيه البعض، ولكنها قضية التوجه الثقافي، كيف يكون؟ هل ستبقى المدرسة المغربية، مفرنسة لغة وتوجيها عاما، أم سترجع لحقيقتها المغربية في توجهاتها العربية الأصيلة، مع التأكيد على ضرورة التطوير الحقيقي، المفيد، الذي يجعلها تلتحق بصفوف المدارس الأجنبية المتطورة الراقية، سواء كانت فرنسية أو إنجليزية؟

لم نكن في الواقع ضد أية ثقافة أجنبية، بل كنا مؤمنين بضرورة تفتحنا على العالم الإنساني المتقدم، في تعليم أبنائنا وتكوينهم، ولكن دون إدماج كلي، أو جزئي، في دولة أجنبية، سواء من حيث اللغة، أو التاريخ، أو الحضارة، إذ لنا شخصيتنا الوطنية المغربية، الأمازيغية، العربية الإسلامية، لا بد من الحفاظ عليها، وتكوين أجيالنا الجديدة على أساسها، وهذا ما لم نحققه إلى الآن، وما يجب أن تتظافر الجهود على تحقيقه بمعونة الله.



## محمد الفاسي كوزير للثقافة

في سنة 1968، عيَّنه صاحب الجلالة الحسن الثاني، وزيرا للثقافة، وعهد إليه بتنظيمها، ووضع الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها، في المجالات الثقافية المتعددة، وأطلق عليها اسم: (وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي) وهكذا عمل الفاسي على تنويع اختصاصاتها العامة، التي منها تنظيم المحاضرات، والمعارض العلمية، وتأسيس الخزانات، لتكون تابعة للخزانة العامة، وإحياء التراث، وجمع الكتب التراثية الموجودة في بعض الزوايا، والمساجد القريبة، والبعيدة، وإصلاح وترميم بعض البنايات الداعية للسقوط، وجمع الوثائق التاريخية، الموجودة لدى الأشخاص والجماعات، والعمل على طبع المؤلفات الجديدة والقديمة، والاحتفاظ بنسخ من المجلات والجرائد الصادرة، واهتم بقضية الطباعة، فقرر أن تصبح المطبعة الموجودة بفاس، تابعة لوزارة الثقافة، وتقوم بطبع التراث المغربي، وأحدث جائزة المغرب، والمتاحف الأثرية، وقرر أيضا الاهتمام بالإنتاج الموسيقي، والعمل على تكوين الموسيقيين، ولم يغفل قضية المسرح، فأعطى تعاليمه لتأسيس معهد لتدريس الفن المسرحي، وإعداد الممثلين، واهتم بقضية الرقص الكلاسيكي والشعبي، ولم يغفل قضية الرسم والنحت.

والواقع أن الفاسي، نظرا لثقافته المتعددة الألوان، واهتمامه الزائد بكل ما يتصل بالمغرب من تراث حضاري، وماض أصيل، جعله يعطي لوزارة الثقافة توجهات متنوعة، تجعلها تؤدي رسالتها في مختلف المواضيع التي يجب الاهتمام بها، سواء في مجال المحافظة على التراث الأصيل، أو في فتح آفاق جديدة في بعض المجالات، التي لم تكن موجودة بالمغرب في تاريخه القديم، مثل المسرح والتمثيل، ولو أعطيت لوزارته الوسائل سواء في عهده، أو عهد الذين أتوا بعده للوزارة، لكانت وزارة الثقافة تؤدي رسالتها الكاملة التي أسست من أجلها.

## الإفادات والإنشادات

اهتم الأستاذ محمد الفاسي بجمع الطرائف والإفادات التي سماها الأديب إسعاف النشاشيبي «بنقل الأديب» وسماها المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب التونسي «بنقل الحبيب إلى الأديب» وأطلق عليها أبو إسحاق إبراهيم بن موسى المشهور بالشاطبي «بالإفادات والإنشادات» وتبعه في هذه التسمية الشيخ عبد الحكي الكتاني، وجاء بعده المؤرخ عبد الحفيظ الفاسي، فسماها «بالإفادات والإنشادات، والنوادر والوجادات».

وجاء بعده مترجمنا محمد الفاسي. فصار يجمع الكثير من هذه الإفادات من مطالعته المختلفة، أو مما يتلقاه حسبما قال من أفواه الرجال، مشروطا على نفسه أن تكون خاصة بالمغرب، أو لها علاقة بالمغرب. ثم صار ينشرها في (ملحق المغرب للثقافة المغربية) التي كان يُصدره المرحوم سعيد حجي.

ولقد صدرت الحلقة الأولى من هذه الإفادات، في العدد الأول من الملحق، بتاريخ سابع أبريل سنة 1938، ثم تتابع نشرها في الأعداد التابعة.

ونظرا لأن الكثيرين لا يستطيعون الاطلاع على الملحق، نظرا لفقدانه إلا لدى القليلين، فإنني أنشر ما استطعت الحصول عليه منها، ملحقا بما كتبه عن التعريف بالأستاذ الفاسي رحمه الله.  
أ.ق

يقول الأستاذ الفاسي في كلمته الأولى لتقديم هذه (الإفادات والإنشادات).

تنشر منذ مدة مجلة «الرسالة» المصرية، سلسلة نوادر، وفوائد، وأخبار مستظرفة، تحت عنوان : «نقل الأديب» بقلم الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي.

وقد كان لهذا «النقل» رنة استحسان، في سائر الأوساط الأدبية بالبلاد العربية، حتى إن العلامة المؤرخ الكبير حسن عبد الوهاب التونسي، يتبع الأستاذ النشاشيبي في هذا الابتكار، بل في هذا الاحياء، لنوع من الأدب القديم، وصار ينشر في مجلة «الجامعة» التونسية «نقل الحبيب إلى الأديب» و صدر أول فصل منها بكتاب «إلى سيد الكتاب ومحبي الآداب، العلامة الكبير محمد اسعاف النشاشيبي، أدام الله حياته «يعترف له بفضل الأسبقية، وأجابه صاحب «نقل الأديب» في أحد أعداد الرسالة يقول من جملة ما قال : «وقد ورث الأستاذ، كما ورثت، وعرف من قدر ما ترك الأكرمون الأولون، مثل الذي عرفت، بل أكثر مما عرفت. وما أنا بالتأثر بكنوز القوم، وما أنا بالمستبد، وما أنا بالوارث الأوحده».

وهذا النوع من الأدب، قديم عند أدباء المغرب، وما من واحد منهم، إلا وله سجل يجمع فيه نوادر مستظرفة، وأبياتا مستحسنة، وفوائر ثمينة، مما يقف عليه في كتاب مؤلف<sup>(1)</sup> أو يجده في قراطيس قديمه<sup>(2)</sup> أو يسمعه من شيوخه ومعاصريه<sup>(3)</sup> ويطلق على ذلك السجل اسم «الكناشة» وخزائن الكتب بالمغرب - وخصوصا خزانة العلامة الأكبر، نادرة العالم العربي في الاطلاع، وكثرة المعارف، الشيخ عبد الحي الكتاني، - ملأى بهذه «الكناشات»، التي يجب الاعتناء بها، لما فيها من الفوائد عن شخصيات أصحابها، لأنها تحتوي على كثير من الأخبار العامة والخاصة بمقديها، زيادة على النوادر والفوائد.

ومن الكتاب المغاربة، من جمع تلك الطرائف على حدة، في كتاب مستقل، وأول من فعل ذلك - على ما بلغ إليه علمنا - أبو اسحق ابراهيم بن موسى المشهور بالشاطبي، وسمى مجموعه : الإفادات والإنشادات. وقد عارضه في ذلك كثير من أدبائنا. وممن تبعه في التسمية أيضا الشيخ عبد الحي الكتاني، فقد ذكر في كتابه فهرس الفهاريس، أنه ألف كتاب : «الإفادات والإنشادات، وبعض ما تحمله من لطائف المحاضرات» في نحو سبع

---

(1) ويسمى فائدة، أو عجيبة، أو نادرة.

(2) ويسمى (وجادة)، لأن الكاتب يصدره بقوله، وجدت بخط فلان.

(3) فإذا كان نترا يسمى إفادة، لأن الكاتب يقول أفادني شيخنا أو

صاحبنا فلان، وإذا كان شعرا يسمى إنشادا.

كراريس. وذكر لي العلامة المؤرخ القاضي الشيخ عبد الحفيظ الفاسي، أن له تأليفا سماه «الافادات والانشادات والنوادر والوجدات» ويا حبذا لو نشر كتاب الشاطبي، وتأليفا هذين العلامتين.

ونحن اقتداء بهؤلاء السابقين الأكرمين، وبالعلامة الكبير الأتساذ النشاشيبي، الذي له فضل تنبيهنا إلى هذه الناحية الطريفة من أدبنا، نبدأ بحول الله في نشر سلسلة من تلك؛ الطرائف، تحت عنوان: «الافادات والانشادات» وأنا لا نلتزم أن يكون ذلك مما أفادنا وأنشدنا إياه مشايخنا، بل نجمع فيها كل ما وقفنا عليه، وأعجبنا، في مخطوط، أو مطبوع، أو تلقيناه من أفواه الرجال، إلا أنا نشترط أن يكون خاصا بالمغرب، أو له علاقة به. وموعدا العدد المقبل.

الرباط - م.ف

## 1 - صدقتم والطائر طاووس !

في كتاب مفاخر البربر<sup>(4)</sup>

ولقد جرى ذكر المغرب، بحضرة أمير المؤمنين ابن عبد العزيز العبيدي، فقال بعض الحاضرين: «بلغنا أن الدنيا شبهت بطائر، بالمشرق رأسها، واليمن جناحها،

---

(4) كتاب مفاخر البربر، لا يعرف مؤلفه، وإنما صرح فيه بأنه ألفه سنة 712 (1312م) وقد نشر منه نبذا الأستاذ ليفي بروفنصال، (مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية الجزء الأول - الرباط سنة 1352 - 1934 ص 1-2).

والشام جناحها الآخر، والعراق صدرها، والمغرب  
ذنبها» وكان في المجلس رجل مغربي يقال له الدقا فقال  
لهم «صدقتم والطائر طاووس!» فضحك السلطان،  
وأجزل صلته. يريد أن أحسن ما في الطاووس ذنبه.



## 2 - اشترى الله عز وجل

### من عبده ابليس اللعين !

قال صاحب كتاب «ذكر بعض مشاهير أعيان فاس  
في القديم»<sup>(5)</sup> عند كلامه على ذكر بين الحبا وذكر أحد  
مشاهيرهم :

وحفيده هو الذي كان في دولة السلطان أبي  
سعيد، وهو صاحب القصة المشهورة المستعذبة، وهي أنه  
باع الروض الشهير، الكائن بداخل باب بني مسافر،  
المعروف بجرواوة، من صاحب العلامة، كاتب السلطان

---

(5) كتاب نفيس، ذو فائدة عظيمة لدرس الحركة العلمية بالمغرب، في  
القرون الأولى، ولمعرفة تخطيط مدينة فاس في القديم، وإني أهنيئ  
لهذا التأليف، عن مخطوطين، أحدهما للعلامة الشيخ عبد الحي  
الكتاني. والثاني لشيخ وزميلي الأستاذ كولان، مع بحث في  
نسبته لابن الأحمر، وتعاليق. وقد اشتهر مختصره، لأبي زيد عبد  
الرحمن الفاسي، المطبوع على الحجر بفاس، منسوباً غلطاً لأخيه  
الإمام أبي عبد الله بن عبد القادر الفاسي، وفيه زيادة 14 عائلة  
ويعرف ببيوتات فاس في القديم.

أبي القاسم بن أبي مدين العثماني، فشهدوا في البيع عليه،  
وشهدوا على أبي القاسم بن أبي مدين، بالشراء،  
فخططوا لأبي مدين بالفقيه ذي الوزارتين، الحاجب  
صاحب العلامة، إلى أكثر من هذا ووقفوا عند تخطيط  
ابن الحبا، وقال أحدهما للآخر «ما تقول في؟» ووقفا  
وسكتا. فقال لهم ابن الحبا على وجه النادرة «قولاً :  
اشترى الله عز وجل من عبده ابليس اللعين» !  
م.ف



### 3 - أبهذا البخل تعرفيني ؟

في جذوة الاقتباس<sup>(6)</sup> لابن القاضي، في ترجمة  
الشاعر محمد المالقي<sup>(7)</sup> متولي النظر، على المارستان  
بفاس :

«حكى أن جدته صنعت له طعاما، فلم يستطبه  
وكان بين يديه قط، فقال له «خمسمائة سوط» فقالت له

---

(6) جذوة الاقتباس، فيمن حل من الاعلام مدينة فاس، لأبي العباس ابن  
القاضي، المؤرخ الحيسوبي، الشهير، المتوفى بفاس سنة 1025هـ  
1616م كتاب جليل لا يستغنى عنه الباحث في تاريخ الفكر المغربي،  
إذ يحتوي على تراجم 652، من المشاهير، من أهل فاس، وممن حلها  
من غيرها، خصوصا من أقطار المغرب الأخرى، وقد طبع على  
الحجر بفاس سنة 1309.

(7) ولد بمالقة سنة 703، وكان «لبيا لودعيا جامعا، لخصال، من خط،  
وكتابة، ونظم وشرنح» توفي سنة 757.



جدته : « لم تعن هذه السياط للقط وإنما تعيني بها وإنما  
أعطيتها لي على اسم القط» فقال لها : حاشا لله يا  
مولاتي !

أبهذا البخل تعرفيني ؟ بل ذلك للقط، حالاً طيباً،  
ولك أنت ألف من طيب نفس»



#### 4 - ... كأنني أرضة !

لتقي الدين أبي عمرو عثمان التينملي<sup>(8)</sup>.

يا أهل مصر رأيت أيديكم  
عن بسطها بالنوال منقبضة  
فمنذ عدمت الغذاء عندكم  
أكلت كتبي كأنني أرضة<sup>(9)</sup>



---

(8) أحد أدباء المغرب، ولد بتينملي، مهد الدعوة الموحدية، ودرس  
بالمغرب، ثم نرح إلى المشرق، واستوطن مصر، وبها توفي سنة 685  
على ما ذكره ابن القاضي، في درة الحجال، قال : «وكان أدبياً  
نحوياً لغوياً».

(9) الأرضة هي الحشرة المسماة عند المغاربة ثونية ؛ وفيه كناية عن بيعه  
لكتبه ليتعيش.

## 5- وخرجنا ونحن أبناء حام

في جذوة الاقتباس لابن القاضي في ترجمة البلوي<sup>(10)</sup>.

«من خطه قال : «ومن انشادات عمرو بن المرابط، في ملح المجالسة، وظرف المؤانسة، يذم حمام توزر<sup>(11)</sup>».

إن حمامنا الذي نحن فيه  
هو في حاجة إلى الحمام  
فدخلنا ونحن أبناء سام  
وخرجنا ونحن أبناء حام



---

(10) هو أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي، من رجال القرن الثامن، أصله من قرية قنتورية بالأندلس، رحل من بلاده سنة 736 (1335) وقصد المشرق، على طريق إفريقيا الشمالية، وأبحر من تونس، وزار مصر، والحجاز، والشام، ورجع إلى وطنه سنة 740 (1349) بعد أن تولى الكتابة لأبي يحيى، بن أبي زكريا الحفصي بتونس، وقد ضمن أخبار أسفاره، وما شاهده، مع ذكر من تعرف بهم من العلماء والأدباء، في رحلة سماها «تاج المفرق، بتحلية علماء المشرق» لازالت مخطوطة، وتوجد منها عدة نسخ.

(11) مدينة بجنوب تونس، في بلاد الجريد، ينسب إليها الإمام مجد الدين التوزري المتوفى بمكة سنة 713.

## 6 - وسيدك القاضي بهذا السعد

في كتاب ذكر بعض مشاهير فاس في القديم عند الكلام على بيت بني المليلي، وذكر أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن المليلي<sup>(12)</sup>.

«ومن ذلك أنه في مجلس القضاء، وهو يفصل بين الناس، وإذا بامرأة جميلة وقفت على رأسه تخاصم زوجها فقالت له : «ياسيدي ضربني حتى هممت أن آتيك عريانة في شعر رأسي» فقال لها : «وسيدك القاضي بهذا السعد؟».

م.ف



## 7 - مولانا أنعم الله صباحك

في جذوة الاقتباس، لابن القاضي، في ترجمة الشاعر الكاتب ابن عبد المنان<sup>(13)</sup> : «حكى عن ولد الكاتب المذكور، وهو يحيى بن أحمد، انه دخل على مخدمه احمد بن أبي سالم المريني، بعشاء، فقال له :

---

(12) هو أبو عبد الله، محمد بن الحسن علي المليلي، ولي القضاء بفاس، بعد والده علي، بأمر من السلطان أبي سعيد عثمان المريني، وكان فقيها محدثا حاز النادرة، وله أخبار طريفة في أحكامه، منها ما ذكر أعلاه وسنورد غيرها، توفي بفاس سنة 737.

(13) كان أديبا شاعرا كاتباً توفي سنة 792.

«مولانا أنعم الله صباحك» فأنكر ذلك منه وتوهمه  
ثمل، فتفطن لما صدر منه لمخدومه فأنشأ يقول :

صبحته عند المساء فقال لي :  
«ماذا الكلام ؟» وظن ذاك مزاحا  
فأجبت : «أن ضياء وجهك غرني  
حتى توهمت المساء صباحا»



#### 8- فعز الفؤاد عزاء جميلا

في جذوة الاقتباس، لابن القاضي، في ترجمة  
الأميرة تميمية، بنت يوسف بن تاشفين.

«سكنت مدينة فاس، ورآها يوما كاتب لها،  
فبهت، وكانت قد أمرت بمحاسيته، وبرزت لذلك،  
فلما نظرت إليه، عرفت ما دهاه، وفطنت لما عراه،  
فأومأت إليه، وأنشدت :

هي الشمس مسكنها في السما  
فعز الفؤاد عزاءً جميلا  
فلن تستطيع إليها الصعود  
ولن تستطيع إليك النزولا



## 9- وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه

ذكر الشيخ عباس بن ابراهيم، في تاريخه الجليل<sup>(14)</sup>، في ترجمة الشاعر أبي العباس، أحمد بن عبد السلام الكراوي<sup>(15)</sup>، ناقلاً عن كتاب الاستقصا :

وكان مع ذلك صاحب نوادر، جالس بها عبدالمومن، ثم ولده يوسف، ثم ولده يعقوب. فمن نوادره أنه حضر يوماً إلى باب أمير المؤمنين، يوسف بن عبد المومن المذكور، وحضر إليه أيضاً، الطيب سعيد الغماري، فقال أمير المؤمنين لبعض خدمته : «انظر من بالباب من الأصحاب».

فخرج الخادم ثم عاد إليه فقال : «يا سيدي، أحمد الكراوي،<sup>(16)</sup> وسعيد الغماري» فقال أمير المؤمنين يوسف :

---

(14) هو كتاب الأعلام، بمن حل بمراكش واغامت من الأعلام، للعلامة المؤرخ، قاضي محكمة المنشبة بمراكش، ويقع هذا المؤلف في ثمانية أجزاء، وهو الآن تحت الطبع، ظهر منه ثلاثة أجزاء. وهو مرتب على حروف المعجم، بعد تسبيق الحمدين، وسيكون هذا المعجم من أهم المراجع، لتراجم مشاهير المغرب، أيام المرابطين، والموحدين، والسعديين، أيام كانت مراكش عاصمة هذه الدول. (15) كان من الشعراء الفحول، إلا أنه من الأسف، جل شعره ضاع، وكان مجموعاً في ديوان، وقف عليه ابن البار. وله صفة الأدب، ونخبة كلام العرب، جعله كالحماسة لأبي تمام، ضاع أيضاً. توفي الكراوي سنة 609 (1212).

(16) ترجم ابن القاضي في جذوة الاقتباس لكاتبين، باسم علي القبائلي، وكانا في عصر واحد، أيام السلطان المريني أبي سعيد بن أبي العباس إلا أنه يسمى هذا الذي توفي ذبيحاً سنة 809 ابن القبائلي.

«من عجائب الدنيا شاعر من «كراوة، وطبيب من غمارة»،  
فبلغ ذلك الكراوي، فقال : (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه.  
أعجب منهما والله، خليفة من كومية) فيقال أن أمير المؤمنين  
يوسف، لما بلغه ذلك قال (أعاقبه بالحلم عنه، فهو تكذيب له).



#### 10 - وعند صفو الليالي يحدث الكدر

في درة المجال لابن القاضي في ترجمة الكاتب  
على القبائلي.

اتفق من قضاء الله وقدره، أنه صنع لأصحابه  
مبيتة<sup>(17)</sup> بالمزمزم<sup>(كند)</sup> وأصحاب الطرب فكان المغني لا  
يجري على لسانه إلا قوله :

وساعدتك الليالي فاغتررت بها  
وعند صفو الليالي يحدث الكدر<sup>(18)</sup>

وكانت الليلة المذكورة ليلة العشرين من شوال،  
فقبض عليه في صبيحتها، وفي آخر الشهر المذكور. توفي  
ذبيحاً سنة 809.

م.ف



---

(17) يقال اليوم ليلة ساهرة.

(18) هذا البيت ينشد قبله غالباً قول الشاعر :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت

ولم تخف سوء ما يأتي به القدر

وساعدتك في البيت الثاني تروي أيضاً وسالمتك.

## 11 - الآن أبكي بكاء المسلمين

في درة الحجال لابن القاضي في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد الرحمن الانفاسي<sup>(19)</sup> الخطيب بجامع الأندلس :  
حكى أن الناس احتاجوا إلى المطر، فسألوه أن يستغيث لهم، ويستسقي لهم، وألحوا عليه فوعدهم ثالث يوم، فلما كان من الغد، أخذ ما عنده من الزرع، وصيره صبرة<sup>(20)</sup> واحدة، في صحن جامع الأندلس، وتصدق به وقال : «الآن أبكي بكاء المسلمين» فاستسقى، فسقى.



## 12 - إنما عثمان بن عفان، من الأنبياء العشرة

في جذوة الاقتباس، لابن القاضي، في ترجمة علي بن علي المليبي، وكان عدلاً بسماط العدول من فاس، «وكان مغفلاً، لا علم لديه، غيباً».

أتاه رجل ليكتب وثيقة، فقال له العدل : «ما اسمك» فقال له «عثمان بن عفان» فأمسك القلم عن الكتب، ونظر إليه متنكراً وقال له : «إنما عثمان بن عفان

(19) كان من علماء فاس وهو أحد شيوخ أبي العباس أحمد وزن البرنسي، أخذ عليه المدونة، توفي سنة 860.

(20) الصبرة بضم الصاد، ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن، يقال «أخذه صبرة» أي جملة، بلا وزن ولا كيل.

من الأنبياء العشرة» ولم يكتب الوثيقة. فما تدري مما تعجب، أمن كون الاسم جهل أن يتسمى به أحد غير أمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه، أم من قوله إن عثمان بن عفان من الأنبياء العشرة<sup>(21)</sup>.



### 13 - كذا قيل لأبي بكر

في نيل الابتهاج، لأحمد بابا السوداني<sup>(22)</sup> في ترجمة أبي العباس أحمد ابن علي بن صالح المعروف بالفيلالي<sup>(23)</sup> : قال زروق في كناشته : «وحدثنا عن والده، أنه كان يصلي

---

(21) والأعجب من ذلك أنه ما خلد اسمه إلا بسبب هذه الغباوة !. كان موجودا أواخر القرن الثامن.

(22) أبو العباس أحمد بابا السوداني، أشهر علماء تنبكتو، في القرن العاشر، ولد سنة 963 أو 960، على خلاف في ذلك، ودرس ببلاده، وكان من عائلة اقيت، وقد اشتهرت بالعلم، وكانت جل الخطط الدينية بأيدي أفرادها. ولما افتتحت الجنود المغربية القطر السوداني، ظهر من أحمد بابا استنكار للتغلب المغربي، فأمر عليه المنصور السعدي، وجيء به منفيا إلى مراكش، حيث أقام معظما محترما حرا، يقضي أوقاته في التدريس، ووقع له إقبال كبير من العلماء والطلبة، وبعد وفاة المنصور، أذن له ابنه زيدان، في الرجوع إلى وطنه، وتوفي سنة 1036 وقد خلف عدة مؤلفات، جلها في الفقه، إلا أن أشهرها في تراجم الفقهاء، وهو نيل الابتهاج، بتطريز الديباج، جعله ذبلا وتكملة للديباج المذهب، في معرفة علماء المذهب، أي مالك رضي الله عنه، لابن فرحون، وقد طبع النيل مرارا، وهو من أهم المصادر، لتراجم المغاربة والسودانيين.

(23) كان فقيها صوفيا، معظما عند العامة توفي سنة 861.



لركن جامع القرويين، فعمل بعض الناس فيه عقداً بذلك، ثم أحضره القاضي فكلمه، فقال له أنه مقرر فعلى م هذا العقد؟ قال: «و لم تفعل؟» قال: «أنا عارف بعلم القوم، وقد أداني اجتهادي أن القبلة في الموضع الذي أصلي إليه، وإن كان من يعرف شيئاً نتكلم معه، فإمّا أن يرجع إلي، أو أرجع إليه» فقال: «أما سمعت قول القائل: اخطأ مع الناس، ولا تصب وحدك؟» قال: «كذا قيل لأبي بكر رضي الله عنه، حين أسلم وحده، وأخطأ الناس كلهم» فتركه القاضي، وقال لأصحابه «إلى هنا بلغتمونا» أو ما في معناه.



#### 14 - ..... فالآن اصبغه جبريا

في جذوة الاقتباس لابن القاضي في ترجمة أبي الفضل ابن النحوي<sup>(24)</sup>: حكى عن ابن حرزم<sup>(25)</sup> أنه قال: «كان أبو الفضل يلبس البياض، فدخل عليه شاب من طلبه العلم، فبادر أن يسلم عليه، فأراق الخبر على ثوب أبي

---

(24) هو يوسف بن محمد، بن يوسف، شهر بابن النحوي، وكان يكنى أبا الفضل، أصله من توزر، ودخل المغرب، وأقام مدة بفاس، وأخذ عنه كثير من أهلها، ولما أمر علي بن يوسف بن تاشفين بإحراق الأحياء للغزالي، انتصر للغزالي. وهو صاحب القصيدة الجيمية المشهورة، المعروفة بالمنفرجة، التي مطلعها:

اشتدي أزمة تنفرجي      قد أذن الصبح بالبلج

(25) هو المعروف بسيدي احرازم قرب فاس.

الفضل، فحجل الطالب فقال له أبو الفضل مزيجا عنه  
الحجل : «كنت أقول أي لون أصبغ به هذا الثوب ؟  
فالآن أصبغه حبريا» فجرده وبعث به إلى الصباغ.  
م.ف



### 15 - إن كان عزلي من جرحه ...

في جذوة الاقتباس، لابن القاضي، في ترجمة أبي  
العباس احمد بن سعيد<sup>(26)</sup> المكناسي وكان خطيبا بجامع  
القرويين :

عزل هو والقاضي الجنباري<sup>(27)</sup> والفقهاء القوري<sup>(28)</sup>

(26) كان من مشاهير علماء فاس، فقيها كبيرا، نظم مسائل ابن جماعة  
في البيوع، وكان متصوفا، شاعرا ظريفا، قال احمد بابا في النيل،  
ناقلا عن فهرسة ابن غازي : «وإنشادته وإفادته كثيرة» وكان  
مدرسا بالمدرسة المتوكلية العنانية، ولد سنة 804، وتوفي بفاس، في  
حدود سنة 870، وقد جعل منه ابن القاضي في جدوته شخصين،  
ذكرهما في صفحة واحدة وهي ص 63 فتنبه.

(27) لم أقف له على ترجمة، إلا أن بيت الجنباري، كان من مشاهير  
بيوتات فاس، وانقرض عقبهم اليوم، ولعلمهم كانوا ينتسبون لدرج  
جنبارة، المسمى هكذا إلى يومنا بفاس، وفي كتاب بعض مشاهير  
أعيان فاس في القديم، قال : «وتولى أحدهم القضاء في المائة  
التاسعة»، فلعله قاضينا هذا المعزول.

(28) هو الإمام المفتي، آخر حفاظ المدونة بفاس، أبو عبد الله محمد بن  
قاسم القوري، أصله من قورة، من أعمال اشبيلية بالأندلس،  
تخرج عليه كثير من العلماء، وتوفي بفاس سنة 872 والشيء الذي  
عزل منه هو الافتاء.

في يوم واحد، ثم طلب لامامة جامع الأندلس فأبى،  
وقال : «إن كان عزلي من جرحه، فلا يحل لكم تقديمي :  
وإن كان من غير جرحه، فقبولي له من قلة الهمة».

م.ف

(يتبع) الدار البيضاء  
محمد بن أحمد العبدري الكانوني

## حديث عن الأستاذ محمد الفاسي ألقي بمناسبة ذكرى وفاته

أيها الإخوة لأفاضل

الحديث عن الأخ المرحوم، الأستاذ الكبير، السيد محمد الفاسي، لا تكفي فيه خمس عشرة دقيقة، ولا خمس عشرة ساعة، فشخصية الفاسي، شخصية متعددة الأطراف، متعددة الجوانب، متعددة المواهب.

وإذا كان اشتهر لدى الكثيرين، بأنه رجل العلم والبحث، والاطلاع، حتى أصبح موسوعة يرجع إليها في كثير من المجالات الثقافية، والعلمية، وإذا كان انكبا به على الدراسة، والبحث والتنقيب، أعطاه صفة الأستاذية الباحثة، أكثر من غيرها، فإنه مع ذلك كله، كانت له اهتمامات متعددة، يأتي في طليعتها، اهتمامه بالقضية الوطنية، وممارسته السياسية، طوال فترة الكفاح الوطني ضد الاستعمار.

لقد تعرفت على الأستاذ محمد الفاسي أول مرة سنة 1933 عندما منع المؤتمر الثالث لطلبة شمال افريقيا بالمغرب، فوجهنا له نحن جماعة «سلا» الوطنية برقية

احتجاج وتضامن مع الجمعية، أجبنا عنها قائلا : لقد كان لبرقيتكم أحسن وقع على المؤتمرين، لما تضمنته من عبارات الاحتجاج على منع المؤتمر بالمغرب، والتضامن معنا في جهادنا، لنشر العلم بقطرنا الإفريقي العزيز، ولأنها كانت ثاني برقية وردت على المؤتمر من افريقيا الشمالية. وإني بلسان كافة المؤتمرين أشكركم على اهتمامكم، وتعظيمكم لهذا المشروع القيم، وأنتهز هذه الفرصة، لأتقدم لكم بالرجاء على بيع الصور المبعوثة لكم، وثمانها فرنك واحد للواحدة.

#### **تكليفي بتمثيل جمعية طلبة شمال افريقيا بالمغرب.**

وفي 14 مارس 1934 وصلتني البرقية الآتية من المرحوم الفاسي يقول فيهما : (أنا الممضي أسفله، محمد الفاسي، الساكن بباريس (فريان)، رقم 8 الدائرة 14 رئيس جمعية طلبة شمال افريقيا بباريز، أعين باسم الجمعية، وباتفاق معها، أتخذ يوم 15 فبراير 1934 السيد أبو بكر القادري، الساكن بسلا، لتمثيل جمعيتنا أمام السلطات، وأمام المواطنين.

ومنذ ذلك التاريخ، والعلاقات الوطنية والأخوية، تتوطد بيننا، خصوصا بعدما التحق نهائيا بالمغرب، حيث عين استاذا بليسي ليوطي، بالدار البيضاء، وقبل أن ينتقل إلى معهد الدروس العليا بالرباط.

في المؤتمر الاستثنائي لحزب الاستقلال بفاس عام 1955،  
بلافريج، ومحمد البيزدي، وعبد الرحيم بوعبيد، والحاج عمر بن  
عبدالجليل، ومحمد الفاسي، وأبوبكر القادري يتناول الكلمة

لقد كان يشارك في الاجتماعات التي يعقدها المسؤولون عن كتلة العمل الوطني، قبل أن يعلن عن تأسيس الحزب الوطني، وعن حزب الاستقلال فيما بعد.

وبعد أزمة سنة 1937 نظمنا اجتماعاتنا مع رجال «الطائفة» وهي الجماعة السرية للحزب الوطني، خصوصا، وعند الوطنيين عموما، وعندما أعلنت الحرب العالمية الثانية، كنا موجودين ندرس الموقف الدولي، والتطورات التي ستنشأ بعد إعلان الحرب، وكان الفاسي من الأفراد الأساسيين الذين يتتبعون الأحداث، ويشاركون المشاركة العملية في اتخاذ القرارات، ولم تتخذ اللجنة التنفيذية المؤقتة التي كونت إذ ذاك أي قرار، إلا بعد موافقة أعضاء الطائفة الموجودين، وعلى رأسهم المرحوم الفاسي، وهو الذي يشير إليه القرار المتخذ (بالواحد).

وبعد تعيين المرحوم، أستاذنا بالمعهد المولوي أثناء الحرب العالمية الثانية، أدى الفاسي دورا من أعظم الأدوار التاريخية، لصالح القضية الوطنية، ولصالح الحزب الوطني، ولصالح المغرب، ذلك أنه اغتنم وجوده بالمدرسة المولوية، وزيارة محمد الخامس رضوان الله عليه كل يوم لها، لتفقد الدروس التي كان يتلقاها ولي عهده إذ ذاك، جلاله الحسن الثاني، أقول اغتنم الفاسي وجوده بالمدرسة، ليوطد العلاقات بين رجال الحزب الوطني،

و بين جلالة الملك المنعم بالله، سيدي محمد الخامس، وإن أنس فلا أنسى تلك الليلة التي اجتمع معنا فيها، ليبلغنا النبأ السار، وهو يكاد يطير من الفرح، لقد قال لنا رحمه الله: لقد اغتنمت زيارة جلالة محمد الخامس للمعهد، لأخاطبه وأنا جد متأثر، بأن الاخوان الوطنيين يرغبون أشد الرغبة في الاتصال به، والسلام عليه، تأكيداً للوفاء له ولعرشه، والمذاكرة معه في القضايا التي تعود على المغرب بالخير والفلاح، ويزيد فيقول : وكم كنت سعيدا عندما أكد لي جلالته، بأنه هو بدوره يرغب في هذا الاتصال، على أن يقع بطرق مضبوطة ومحكمة، حتى لا ينكشف أمره، وتضيع المصلحة التي يتوخاها رحمه الله، ويتوخاها الوطنيون.

لقد كانت ساعة من أقدس الساعات التي عشناها في حياتنا، عندما نظم اللقاء الأول مع محمد الخامس في سرية مطلقة، وعندما عقبه لقاءات أخرى، كان فيها عهد، وفيها قسم، وفيها توثيق العلاقات، بين الملك وبين الوطنيين الأحرار، ولخدمة القضية المقدسة، قضية العمل على تحرير المغرب من قبضة الاستعمار، والعمل يدا واحدة مع محمد الخامس لتحقيق الاستقلال. توطدت العلاقات بيننا في الحزب الوطني، وبين جلالة محمد الخامس رحمه الله، فنظمت اللقاءات السرية مع جلالته، لدراسة الأوضاع العامة بالمغرب، ولاتخاذ القرار الحاسم للمطالبة



أخذت هذه الصورة بسان جرمان بفرنسا حيث استقبلنا  
جلالة محمد الخامس لدى رجوعه من منفاه بمداكسكار  
ويظهر الأستاذ الفاسي في الصورة وفي الجانب الآخر : محمد بوستة  
وأبو بكر القادري والفقير غازي وبجانبه عبد الرحيم بوعييد

بالاستقلال والديمقراطية، في ظل الملكية الدستورية، وكان المرحوم الفاسي، حاضرا في كل هذه اللقاءات، يناقش ويدافع، ويبادل الرأي، ويقرر مع إخوانه، وكان من جملة الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال.

وجاءت أزمة 29 يناير 1944 حين امتدت اليد الأثيمة إلى قادة حزب الاستقلال، فاعتقلتهم، وقامت على إثر هذا الاعتقال مظاهرات شعبية، واصطدامات مع الجيش الفرنسي، وسقوط شهداء في معركة الشرف، نتج عنها القاء القبض على مات الوطنيين في مختلف المدن، وخصوصا : الرباط وسلا، وفاس، ومحاکمتهم، وملء السجون بهم، فكان الفاسي من جملة الذين اعتقلوا في سجن البرج، أولا، ثم في سجن العدير ثانيا، حيث قضى بالسجن مدة سنة ونصف.

وبعد انفراج الأزمة شيئا ما، أواخر سنة 1945 عينه جلالة محمد الخامس مديرا لجامعة القرويين، وبقي مع ذلك يعطي دروسا في التاريخ بالمعهد المولوي، وبقي أيضا واسطة الاتصال المنظم مع محمد الخامس.

وبعد تنظيم العمل الوطني من جديد بعد خروجنا من السجن، وتكوين المجلس الأعلى للحزب، كان الفاسي من ركائز أعضائه، يناقش ويدافع ويقترح، ويطبق القرارات التي يعهد إليه بتطبيقها.

ولما جاءت أزمة دجنبر 1952 وألقي القبض على جميع قادة الحزب، كان الفاسي من جملة المعتقلين، حيث سجن بالنيف، في أقصى الجنوب المغربي، ثم نقل إلى اغبالون كردوس، مع جماعة كبيرة من إخواننا، ولم يطلق سراحه إلا سنة 1954 عندما بدأت الأزمة تنفجر، وتظهر بشائر الاستقلال.

وبعد الاستقلال عينه جلالة محمد الخامس، وزيرا للتعليم، فتولى تلك الوزارة التي كانت تسمى وزارة التهذيب الوطني، وذلك في 7 دجنبر 1955 وخلال شهر مايو 1958 تولى رئاسة الجامعة المغربية، ثم انتخب عضوا في مجلس الدستور، وعضوا في المجلس التنفيذي لليونيسكو، وعضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم بعد ذلك عين عضوا في المجمع العلمي بالعراق، ثم تولى وزارة الشؤون الثقافية، وخلال توليته في كل هذه المناصب، سواء منها السياسية، أو الثقافية، كان مثال الرجل الوطني المثقف، يؤدي الرسالة التي تحملها بكل أمانة وصدق واهتمام.

ملاحق

## «السيرة» في إنتاج أبي بكر القادري ترهين إيديولوجي<sup>(1)</sup>

مهداة إلى الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي : للتأمل والعبرة  
تثير اهتمام الباحث، في مجال الأدب والفكر بالمغرب،  
غزارة الدراسات التي نشرها الأستاذ الجليل أبو بكر القادري،  
في مواضيع مختلفة، وخاصة ما يتعلق منها بسير رجال عرفهم  
أو قرأ عنهم، ساهموا بقسط وافر في صنع التاريخ وتغيير  
الواقع بالمغرب أو في العالم الإسلامي، بصفة عامة ؛ وهو  
بذلك يتوج مراحل كفاحه الوطني، ودعوته الإسلامية بعملية  
استرجاع لنبضات الماضي البعيد والقريب، في محاولة للتأريخ  
والنقد غير المباشر، والنقد الذاتي، دون ادعاء لموضوعية  
مطلقة أو حياد مثالي أو براءة وهمية.

سأركز، في هذه المحاولة، على خصائص كتابة «السيرة»  
عن أبي بكر القادري، باعتبارها تقدم، بمنأى، في آن واحد،  
عن قانون الصدفة، وضوابط الحتمية، مفهوما للتأريخ كحقل

---

(1) هذا التعليق كتبه الأستاذ أحمد البيوري على الكتاب الذي أصدرته  
تحت عنوان : الصادقة بنت الصديق وذلك سنة 1998 ولقد تأخر  
نشره نظراً لأنه كان ضائعا بين الأوراق فمعدرة للأستاذ البيوري.

لتحقق الإرادة الإلهية، عن طريق رجال مصممين، بدرجات متفاوتة، على إنجاز مشاريع متعالية في مجال الحرية والفضيلة والعدل، في مختلف العصور وفي شتى القطاعات. وسأقتصر على كتابي: (سعيد حجي : 1912 - 1924 - دراسة عن حياته ونشاطه الثقافي والسياسي) - 1979، و«الصادقة بنت الصديق ورجال صدقوا» - 1998، لأنهما، في نظري، يمثلان إمكانيات وحدود كتابة السيرة عنده، شكلا ومضمونا، كما يرسمان خطا لتطور المقصدية الدلالية المركزية التي يدور حولها إنتاجه.

ففي كتاب «سعيد حجي...» تتعدد الأصوات التي يوظفها الكاتب : فهناك صوت الحوليات الذي يتمظهر من خلال الاحالات المتكررة على السنوات والشهور والوقائع التاريخية التي عرفها بالمغرب في الثلاثينيات : الظهير البربري، أحداث فاس، برنامج الإصلاحات المغربية والمطالب المستعجلة...» وفي إطار العمل الحزبي يبرز اسم الطائفة والكتلة والحزب الوطني وهناك صوت ثان يضطلع بسرد سيرة سعيد حجي : طفولته، دراسته، سفره إلى الشرق، انخراطه في تأسيس الصحافة المغربية، جريدة المغرب، ملحق المغرب للثقافة المغربية، وعمله الرائد والجريء في الحقل السياسي. وفي هذا المستوى يكاد يتطابق صوت المؤلف مع صوت صاحب السيرة : «وكيفما كان الأمر، فإن السعيد، رحمه الله، أخلص كل الإخلاص أثناء هذه الفترة الدقيقة، رغم ما كان يتعرض له

أحيانا من انتقاد من بعض إخوانه، وتآمر من خصومه وأعداء نشاطه» - سعيد ص 133.

لقد كان سعيد حجي، من خلال سيرته هاته، صاحب مشروع سياسي وإعلامي وثقافي، ولم تكن تعوزه الشجاعة الفكرية وقوة المبادرة، بل وروح المغامرة، وكان جديرا بتوجيه الحركة الوطنية، في تلك الفترة، غير أن مراكز قوى داخل نفس الحركة، ربما كانت تتذرع بالحذر من مواقفه السياسية التي بلغت أقصاها بإقدامه على إقامة اتصالات مباشرة فردية مع الإقامة العامة، من أجل تحقيق أهداف (لا تتنافى والخط الوطني)، ولكنها تخالف أسلوب العمل الذي كان محط شبه إجماع النخبة السياسية.

هذا التضارب بين الخط السياسي وأسلوب الإنجاز كان، إلى جانب الصراعات الداخلية، تدشينا للاختلاف في مجال الممارسة السياسية كما عرفها تاريخ المغرب الحديث، بعيدا عن الوحدة والانسجام اللذين كانت تتوخاهما دائما الحركة الوطنية.

لقد طرح سعيد حجي، في فجر العمل السياسي بالمغرب إشكالية كانت وماتزال تؤرق الفاعلين السياسيين، وذلك باتخاذ مواقف فردية ذات طابع سياسي، في محاولة كسر الجمود الذي خيم على المغرب بعد أحداث 1933 - 1934 ؛ ولعل الرسالة التي بعثها إلى

أحد إخوانه، في نفس الفترة، تعكس مقاصده الحقيقية، وتوضح عناصر الإشكالية : (فالذي يظهر لي، أن هذه الحيرة سيطول أمدها إذا لم نفكر جيدا في إخراج عمل سلبي أو إيجابي لصالح حركتنا، من خيز النظر إلى حيز العمل، بصبر واستعداد، وإذا لم ننظم، ولو على الأقل، الآن، أنفسنا، ونرتب المسؤوليات، ونوزع الأعمال، بصورة لا يبقى معها جمود، أمام الحوادث المتوالية بصورة مفزعة ؛ ثم علينا أن نفكر في أعمال تساعد شعبنا على فهم الحياة ؛ فمن المهم أن ندرك أن شعبنا لم يوتَ حظا كبيرا، لكي يفضل فكرة المعارضة فحسب).

إن جردا للحقول الدلالية التي تحيل عليها هذه الرسالة تبرز لنا عمق التحليل ودقته : فهناك تحديد للمقصدية المتمثلة في مساعدة (الشعب) بأعمال ملموسة، والوعي بمستوى إدراك (الشعب). ولا يتأتى ذلك إلا بالخروج من خيز النظر، من فضاء المعارضة إلى حيز العمل، بالتنظيم وترتيب المسؤوليات ؛ وبمناى عن ذلك، تنتصب الحيرة والجمود وتدهور الأوضاع.

وهكذا تختلف الآراء والتحليلات، خلال فترات الانتقال الحرجة خاصة، في قراءة الواقع وتأويله واتخاذ موقف منه، في محاولة التوفيق بين الاختيار الاستراتيجي والأداء التاكتيكي، وما يستتبع ذلك من نقد وتجيح من طرف الذين يعتبرونه مدخلا للاحتواء والاختراق،



وخطورة نحو تجزيء المشروع المقترح للإنجاز، ليصبح مجرد عنصر من عناصر الاستراتيجية المضادة.

\* \* \*

مقابل هذه الحيرة وذاك التردد اللذين يطبعان سلوك بعض الشخصيات المعاصرة، يقدم كتاب (الصادقة بنت الصديق ورجال صدقوا) مواقف حاسمة لشخصيات متشعبة بالإيمان، وبقيم متعالية، لعبت أدوارا حاسمة في التاريخ الإسلامي من عهد الرسول إلى القرن الخامس الهجري، في مجال التشريع، والممارسة السياسية: فمن عائشة، زوجة النبي، إلى سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، إلى الحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، والإمام أنس بن مالك، ومحمد بن إدريس الشافعي والقاضي عياض، وأبي حامد الغزالي، وعبد الله بن ياسين، كل في ميدانه رائد ومجدد، ومثابر ومغامر، تتمثل فيه سلطة روحية، غير مماثلة للسلطة السياسية السائدة. من هنا أصناف المشاكل التي واجهتها هذه الشخصيات وأنواع التعذيب التي نخرتها: إنها تمثل نقيض السلطة، بكل معنى الكلمة، من خلال مواقفها الصارمة: فهذا سعيد بن المسيب يؤكد، رغم التهديد والوعيد، أن المرؤانيين (في نظره ليسوا أهلا، لأن بيعتهم ليست شرعية، وهو متمسك كل التمسك برأيه، وأن البيعة لا تكون إلا لإمام واحد، ولا يمكن أن تُنقض ببيعة أخرى) - الصادقة...

ص، وذاك سعيد بن جبير يواجه الحجاج بن يوسف الثقفي، في لحظة الإعدام، برباطة جأش وثبات على الموقف، مرددا عندما تصدى الخصوم لذبحه : «إني أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، اللهم لا تسلطه على أحد بعدي».

وتتكرر المواقف المتشعبة بالقيم الإسلامية، فهذا الكتاب، عبر العصور، لا ينال من أصحابها اعتقال ولا نفي ولا اختطاف ولا اغتيال، راسمين خطأ واضحا للسلوك الإسلامي، جامعين بين التبعد والتبتل والخوض في شؤون الحياة ؛ لم يمنعهم زهدهم وسعيهم نحو «براءة» و«صفاء» نادرين، ومثاليين، من الانخراط في الشرط الإنساني. الاجتماعي والسياسي، بل كان انغماسهم في «حمأة» الواقع تجربة، «تطهيرية» عن طريق المعاناة والمواجهة.

يقدم هذا الكتاب، أيضا، صورا من المثالي النبوي، بعيدا عن التغريبات العجائبية التي يزخر بها المتخيل الشعبي، حول هامش السيرة النبوية، وهو بذلك، يقربنا من الإسلام في بساطته وتلقائته، من خلال مشاهد حية للعلاقات الوجدانية بين الرسول وزوجته الأثيرة، عائشة، وهي موزعة بين الحب والغيرة، بين دفء الخشوع ونوازع الهوى، بين جلال الإسلام وجمال رسول الإسلام.

هل يمكننا أن نقرأ (الصادقة...) قراءة مزدوجة، باعتبار، من جهة، سجلا حافلا بسير شخصيات مرموقة في تاريخ الإسلام، ومن جهة ثانية، مرآة تنعكس عليها المواقف الفكرية والسياسية، لأبي بكر القادري؟ ذلك أن هذا الكتاب، بقدر ما يحفل بالشواهد والإحالات، بقدر ما يمتزج فيه صوت المؤرخ بصوت الكاتب، خاصة عندما يتحرر من سلطة التوثيق، ويشرع متأملا، عبر خواطر حرة، بحنين وارتياح وقلق، في الذات والمصير.

في خاتمة هذه المحاولة السريعة، أستخلص، تلميحا لملاحظات سابقة، من منظور صيغ التعبير، أن «السير» التي كتبها أبو بكر القادري، موزعة، بصفة عامة، بين ثلاثة مواقع تلفظية : فضمير المتكلم المفرد (أنا) الذي يوظف جل أنماط الخطاب في (مذكراتي في الحركة الوطنية ج 1 يعكس نوعا من الانطوائية والترقب، في فترة النضال من أجل الاستقلال ؛ وفي الجزء الثاني، من نفس الكتاب يحتل ضمير جماعة المتكلمين (نحن) حيزا شاسعا، كأنعكاس للحظة الظفر والانتشاء، بعد الاستقلال، بينما يهيمن ضمير الغائب المفرد (هو) مقترنا، أحيانا، بضمير المتكلم المفرد المتماهي معه، في (الصادقة...) باعتباره الغائب - الحاضر، والنموذج الذي لا يضاهي، الممتد عبر التاريخ، وكأنه صورة للمطلق المثالي الإسلامي، في موازنة غير متكافئة مع نظيره الإسلام المعاصر.

أحمد البيوري

## فهرس الكتاب

5	المقدمة
8	سلالة أبي الجد
9	ولادة محمد الفاسي
10	دراسته
12	شخصيته وعمله الوطني، أثناء الحماية وبعدها
19	اهتمامه بالقضية الفلسطينية
22	جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بباريس
27	مجلة (مغرب)
27	نشاطه في حزب الاستقلال
29	وطنيته
32	تميز شخصية محمد الفاسي
36	اهتمامه بالآلة الأندلسية
39	اهتمامه بالملحون
42	اهتمامه بلهجة تمازيغت
44	الإفادات والإنشادات
48	نشاطاته الثقافية المتعددة
54	ما كتبه عن المغرب في عهد الدولة المرينية
58	حول الأدب العربي في عهد المرابطين
60	العصر المريني، ومميزاته الأدبية

هل كان للشعر العربي بالأندلس تأثير في الآداب الغربية .....	66
التواريخ وابتدائها .....	66
رسائل إسماعيلية .....	68
هل كان للمغاربة أدب في القرون الأولى قبل الفتح الإسلامي .....	69
الأبحاث البربرية المخطوطة .....	70
الأحاجي السوسية وما يجري مجرى الألباز .....	72
الحياة الفكرية بالمغرب، واهتماماته بها .....	75
تأليف الفاسي وتحقيقاته .....	76
اهتمامه بتصحيح الأوضاع، ومقاومته للحن في الكتابة والخطابة .....	77
اهتمامه بربط العلاقات مع البلدان العربية .....	80
تعيينه مديراً لجامعة القرويين .....	84
تعيينه وزيراً للتربية الوطنية .....	86
قضية تعريب التعليم ومشاكلها .....	92
تعيينه وزيراً للثقافة .....	97
جمعه للإفادات والإنشادات .....	99
كلمة عن الأستاذ الفاسي بمناسبة ذكرى وفاته .....	116
ملاحق .....	125